الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعـــــة غردايـــة

قسم اللغة و الأدب العربي

كلية الآداب و اللغات

الشعوبية وأثرها في النثر العباسي
ابن المقفع نموذجـــا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية و آدابها

تخصص :الأدب العربي القديم

إعـــداد الطالبـــين:

- بن دحمان عبد الحميد
- خنفر محمد الصالـح

إشـراف الدكتـــور:

سويلـــم مختـــار

أعضاء لجنة المناقشة

اسم الأستاذ ولقبه	الدرجة الأكاديمية	الصفة في اللجنة
أ.مسعود خرازي	أستاذ مساعد قسم أ	رئيسـا
د.مختار سويلم	أستاذ محاضر قسم أ	مشرفـا
د.بوعلام بوعامر	أستاذ محاضر قسم أ	مناقشـا

السنة الجامعية: 1438هـ-1439 هـ/ 2017 م-2018 م

بسم الله الرحمن

الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين،

وإلى كل من أنار لنا درب العلم والمعرفة،

وإلى الزوجة و الأبناء،

نهدي عملنا هذا.

شكر و تقدير

انطلاقا من قوله تعالى:(وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لنَفْسه وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّهَ غَنيٌّ حَميدٌ).

وقوله صلى الله عليه و سلم: "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله".

اعترافا بفضل الله وبفضل أهل الفضل، فإننا نتقدم بجزيل شكرنا ،وخالص تقديرنا، إلى أستاذنا الفاضل الدكتور مختار سويلم الذي شرفنا بالإشراف على هذه الرسالة، وذلك لرحابة صدره، ولما بذله من عطاء، وما خصنا به من نصائح و توجيهات، ممّا كان له أثر كبير في إثراء هذه المذكرة حتى خرجت للنور، ونسأل الله الكريم له القبول والتوفيق في الدنيا والآخرة.

كما نتقدّم بالشكر لجامعة غرداية التي هيّأت لنا شرف الانتساب إليها في مرحلة الماستر بكلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية وآدابها.

كما نتقدم بعظيم شكرنا وخالص امتناننا لأساتذة لجنة المناقشة، و ذلك لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة لإثرائها بالتوجيهات السديدة و الإرشادات النافعة.

و لا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل لكل أساتذة جامعة غرداية وخصوصا الذين درّسونا منهم،كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث سواء كان من محيط الجامعة أو خارجها ،واعترافا بالجميل نسأل الله أن يوفق الجميع ويجازيهم خير الجزاء.

الملخص

تناول هذا البحث موضوع الشعوبية في النثر العباسي متتبعا أسباب انتشارها،وبيان أهدافها،معرّجا على إبراز أثرها في النثر العباسي،متّخذا ابن المقفع نموذجا،فهذا الكاتب وعلى الرّغم من جودة مؤلفاته إلاّ أنها لا تخلو من روح شعوبية لا يمكن ادراكها إلاّ بعد تمحيص وتفحّص،ذلك أنّ ابن المقفع لم يكن من المجاهرين بذم العرب بصريح القول كما كان الحال مع أكثر الشعوبيين،بل كان شعوبيا عمليا،وهو ما سعينا لإبرازه من خلال دراستنا لبعض مؤلفاته.

RESUME

Cet article traite du sujet du populisme dans la prose abbasside, à la suite des raisons de sa diffusion et de ses objectifs, afin de mettre en évidence son impact dans la prose abbasside, Le fils du muqaffin n'était pas aussi explicite que le plus populiste, mais il était pratiquement populaire, ce que nous avons cherché à mettre en évidence à travers notre étude de certaines de ses œuvres.

مقدمـــة

لقد كان عصر صدر الإسلام النموذج الأفضل والقدوة المثلى للمسلمين في العصور اللاحقة، فهو المرجع الذي يعاد إليه للاهتداء للطريق القويم.

لقد جمع الإسلام شتات العرب، وأزال العصبية المقيتة بينهم ،ذلك أن مبادئه تنبذ التفرقة وتدعو إلى الوحدة بين بني الإنسانية عموما ،فلا فرق بين غني وفقير ،ولا بين حر وعبد، ولا بين أسود وأبيض، ولا بين عربي و أعجمي ،ميزان التفاضل بينهم العمل الصالح، هكذا كان حال الأمة إبان عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى عهد الخلفاء الراشدين ،وبحلول العصر الأموي كثرت الفتن والحروب بين أبناء الأمة الواحدة ،وعادت العصبية إلى سابق عهدها، وتجلى ذلك من خلال اعتماد الساسة الأمويين على العنصر العربي ،وتحييد العجم عن المناصب ،وهو ما جعل الأعاجم يضمرون العداء لبني أمية وللعرب عموما، ومن ثم كانت مساهمتهم فعالة في إسقاط الحكم الأموي.

بانتصار العباسيين بدأ عصر جديد للأعاجم، حيث خصوا بالمناصب، والمراتب ،لكن هذا لم يزل العصبية بين الأعاجم والعرب بل زادت وتوسعت ،فالذي حصل هو انقلاب للمشهد حيث هُمش العرب، وتمكن الأعاجم من مفاصل الدولة ،لينطلقوا مفاخرين بحضارتهم(الفارسية خصوصا)سالبين العرب كل فضيلة ،لتتبلور الحركة الشعوبية في الشكل وتقتحم جميع المجالات السياسية والعسكرية... ولم يكن الأدب في معزل عن أفكار الشعوبية ،إذ كان بنوعيه (الشعر والنثر) ميدانا لإبراز الفكر الشعوبي، و لئن كثرت آثار الشعوبية في الشعر، فإن النثر لم يعدم هذه الظاهرة، وهو ما سعينا لتجليته في هذا البحث الموسوم بـ :« الشعوبية وأثرها في النثر العباسي، ابن المقفع نموذجا ».

ومما دفعنا للبحث في هذا الموضوع هو معرفة حقيقة هذا الفكر الدخيل ،وتتبع ظهوره على الساحة الفكرية والسياسية في الوقت ذاته ،ومحاولة التعرف أكثر على الشعوبية التي دفعت بعض الأدباء والمفكرين إلى الخوض في مسائلها، حتى تشكلت كتلتان اشتد التطاحن والتنافر بينهما،

الأولى: مثّلها الموالي من الفرس خاصة، و الأخرى: التيار المعادي الذي مثله العرب، وقد جاء اختيارنا لهذا البحث نابعا من جملة دوافع من أبرزها قلة البحوث المستقلة الخاصة بهذا الموضوع.

أما الدافع الثاني فيتمثل في ميلنا الشديد إلى النثر خاصة وأن هذا الموضوع اهتم به الكثير من الأدباء والكتاب في العصر العباسي ،فكان من الضروري الالتفات إلى هذه المسألة ،ومحاولة التعرف على الجديد فيها، خاصة وأن هذه الظاهرة لم تعد مقتصرة على العهد العباسي فحسب ،بل أصبحت تتسم بها كل العصور اللاحقة ،ولاسيما عصرنا هذا.

أما الدافع الثالث فيكمن في محاولة معرفتنا لمرجعية ومنطلق الإنتاج الأدبي الغزير في العصر العباسي وكشف جذور التناحر السياسي والديني والفكري الذي طبع تلك المرحلة.

وهذا ما أدّى بنا إلى طرح الإشكالية التالية :

– ما أثر التيار الشعوبي في النثر عامة وعند ابن المقفع خصوصا؟ وهي إشكالية أساسية تتفرع منها التساؤلات التالية:

ما أسباب انتشار الفكر الشعوبي؟ وما هي أهدافه ؟ وما أثر ذلك في النثر العباسي عموما، وبخاصة عند ابن المقفع ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تم اتباع الخطة التالية : مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة .

ففي المقدمة توطئـــة للموضوع، وفي المدخل تحدثنا عن محاربـــة الدولة الإسلامية للعصبيـــة القبلية ،وذلك في العصرين النبوي والراشدي، وعودة العصبية للظهور في العصر الأموي واشتدادها في العصر العباسي مما أدى إلى تشكل الحركة الشعوبية.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان:

الشعوبية : النشأة و التطور، أدرجنا تحته ثلاثــة مباحث، مبحث أول يتطرق إلى مفهوم الشعوبيـة، والثاني يتناول أسباب انتشار الفكر الشعوبي و أهدافه ،ومبحث ثالث أبرزنا فيه أثر الشعوبية في النثر العباسي.

أما الفصل الثاني فخصصناه لشعوبيـــة ابن المقفع، حيث افتتحناه بترجمـة حيـــاة هذا الكاتب، متناولين مضامين أهم مدوناته، لنخلص إلى أثر الشعوبية في بعض كتبه.

و في الأخير أنهينا بحثنا بخلاصة عن ابن المقفع و بخاتمة جمعت أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة.

أما منهج الدراسة المتبع فهو المنهج الإستقرائي الوصفي الذي يعتمد على تقنية التحليل، دون نسيان أداءات الموازنة التي وُظفت للمقابلة بين النماذج الشخصية وبين الأفعال و الردود عليها، هكذا تضافرت جهودنا للقيام بهذه الدراسة.

و للبحث في هذا الموضوع و إنجازه تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

الفهرست لابن النديم، فضل العرب والتنبيه على علومها لابن قتيبة، البيان والتبيين، البخلاء والحيوان للجاحظ.

أما المراجع المساعدة نذكر منها :تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن، ضحى الإسلام لأحمد آمين، المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي لعزيز فهمي، تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف...

وقد اعترضتنا في هذا البحث جملة من الصعوبات نذكر منها:

1. قصر وضيق فترة الإنجاز لهذه المذكرة.

2. صعوبة الموضوع خاصة وهو يتناول ظاهرة جديدة في العصر العباسي يكتنفها بعض الغموض.

3. قلة المصادر والمراجع في هذا الموضوع، حيث أن أغلبها تناول الشعوبية كعنصر دون تفصيل وتدقيق.

4. قلة النصوص النثرية التي تناولت الفكر الشعوبي أثناء الاستشهاد، الشيء الذي صعب مهمة البحث أكثر مقارنة بالشعر الذي زخر بهذا الموضوع.

هذه بعض الصعوبات التي اعترضتنا أثناء البحث، والتي حاولنا التغلب عليها من خلال استعانتنا بتوجيهات ونصائح أستاذنا المشرف الدكتور مختار سويلم الذي حفّزنا لتناول مثل هذه المواضيع من خلال ما قدمه أثناء تدريسه لنا لمقياسي عصر البعثة والعصر الأموي، وذلك من خلال دفعه لنا لقراءة الأحداث والمواضيع وفق رؤية استنتاجية لا تتوقف عند حد تلقي المعلومة كمسلمة دون مناقشتها، كما لا يمكن إغفال دور الدكتور بوعلام بوعامر أستاذ الأدب العباسي الذي منه استقينا موضوع هذا البحث.

وأخيرا لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في هذا البحث، وفي مقدمتهم الأستاذ المشرف الذي لم يبخل بنصائحه وتوجيهاته التي كانت بمثابة نبراس اهتدينا به في مسار إنجاز هذا البحث الذي نرجو أن يكون إضافة لبيان حقيقة الفكر الشعوبي وأهدافه.

مدخـــل

عرف العرب معنى الدولة بمجيء الإسلام ،فكان التأسيس الأول للدولة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته عرف المسلمون الخلافة كنظام حكم جديد، ثم تلتها الدولة الأموية التي بدأت فيها ملامح الدولة تتغير بعد اتساع الفتوحات، لتعقبها الدولة العباسية.

فما هي أهم الأحداث التي مهدت لقيام الدولة العباسية ؟

لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال دون العودة إلى التاريخ واستقراء أهم الأحداث التي عرفتها العصور السابقة إذ إن عصور الدول يرتبط بعضها ببعض فالعصر الجديد لابد وأن تكون له جذور ممتدة في ما سبقه من العصور، فالأحداث في الدولة العباسية تعود جذورها إلى عهد النبوة وما بعده.

1-الدولة في عصر صدر الإسلام:

من رحمة الله بالعرب والبشرية عموما أن بعث إليهم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وعليه حمل الرسول الأكرم رسالة ربه وعانى في تبليغها أشد المعاناة ،إذ كان أول من صده ووقف في وجه دعوته بني قومه (قريش)، الذين لم يقبلوا دعوة المساواة التي جاء بها الدين الجديد ،فهم يفوقون القبائل الأخرى قوة وشرفا استمدوا ذلك من حماية الكعبة وخدمة الحجيج، كما رفض أحرار قريش المساواة بالعبيد والفقراء[1].

لتبدأ المواجهة بين رسول الله وقريش، والتي لم تدخر جهدا في إيذاء الرسول ومن معه، لتكون يثرب المخلص لهم من ذلك الأذى الذي لم يعد لهم قدرة على تحمله، وهناك بمدينة رسول الله بدأ إرساء قواعد الدولة الإسلامية. ليبدأ بعد ذلك عهد جديد من المواجهات المسلحة بين المسلمين والكفار، و بخاصة كفار مكة الذين استسلموا في النهاية سنة 8هـ ،حين دخل جيش المسلمين مكة فاتحا.

[1] -(ينظر) علي عبد الواحد وافي، المساواة في الإسلام، دار المعارف،مصر،ط3 ،1965 ،ص21.

وبهذا انتصرت دعوة الإسلام ،وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسالته، واضعا بذلك أسس دولة الإسلام التي أساسها العدل والمساواة ونبذ الفوارق بين الأجناس وطمس روح العصبية، وهي آخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في خطبة الوداع ،والتي منها قوله :«أيها الناس ،إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب-إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،إن الله عليم خبير-وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت ؟اللهم فاشهد !

قالوا :نعم .قال فليبلغ الشاهد الغائب»[1].

هكذا إذا كانت آخر الوصايا النبوية للمسلمين، وكأنه كان يعلم ما سيحدث في أمته من بعده، لينتقل الرسول الأكرم إلى الرفيق الأعلى بعد خطبة الوداع بثلاثة أشهر[2].

و يتولى أمر الأمة من بعده أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

2-الدولة في عهد الخلفاء الراشدين:

بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)تولى الأمر من بعده أبي بكر الصديق ،وعمر بن الخطاب ،ثم عثمان بن عفان، ليكون علي بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين، وأهم ما يميز فترة حكمهم هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات ،حيث انضم إليها؛ مصر ،الشام، العراق، بلاد فارس، بلاد الترك، الأندلس، وكثير من البقاع الأخرى، ويعد زوال المملكة الفارسية وانتزاع الكثير من الأراضي التابعة للروم أكبر انتصارات المسلمين، ليلتحق بالدين الإسلامي عديد الأجناس الذين كانت لهم حضارات عريقة، لينضوي الجميع تحت لواء الدولة الإسلامية ،لتظللهم سماحة الإسلام وعدله، فقد أطفأ الإسلام نار الفرس وأبدلهم ربا رحيما ساوى بين كل عباده، وهذا ما حاول الخلفاء

---

[1] -الجاحظ(أبو عثمان بن عمر بن بحر) :البيان والتبين ،تحقيق: عبد السلام هارون-مطبعة المدني القاهرة،ط7،1998، ص33.

[2] -أحمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة ،بيروت ،ط29 ،1985،ص195.

تطبيقه، فكان سيدنا عمر رضي الله عنه مثال العدل الإسلامي، إذ بعث لعماله في العراق قائلا :«إنما بعثت عمالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم، وسنة نبيكم، ويقسم بينكم فأيكم »[1]. هكذا كان عدل الخلفاء في العهد الراشدي، فهل استمر هذا الحال في العصرين الأموي والعباسي ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في معرفتنا لأحوال الدولتين الأموية والعباسية، وهذا ما سنطرقه في العنصر الموالي.

3-الدولة في العصرين الأموي والعباسي :

إن أهم ما يميز نشأة الدولتين الأموية والعباسية هو ظهور كل منهما بعد خلافات شديدة بين أبناء الأمة الواحدة ،فالخلاف الذي بدأ بين الأنصار وقريش تحول بين الهاشميين والأمويين إلى شبه حرب أهلية عمت كامل أرجاء الخلافة آنذاك، سواء في الجزيرة العربية، أو العراق، أو مصر، ثم الشام »[2]. ليتوسع الصراع في ما بعد ليشمل العرب والعجم، بل إن الأمة تفرقت شيعة وسنة وخوارج ومرجئة ومعتزلة...،ولكن الصراع بين هؤلاء عادت فيه الغلبة في البداية للأمويين الذين أسسوا دولتهم في العام 41هـ،ولكن السياسة التي انتهجوها خلفت لهم كثيرا من الخصوم والأعداء، الذين سعوا لإسقاط الدولة الأموية سالكين من أجل ذلك كل الطرق والوسائل، ويعد الخوارج أهم المناوئين للحكم الأموي، إذ لم تهدأ ثوراتهم طيلة ذلك العهد ،مطالبين بأحقية الخلافة لكل المسلمين، وإلى جانب الخوارج كان الشيعة يحاربون بني أمية لإعادة الخلافة إلى آل البيت، وتعتبر معركة كربلاء أبرز صراع بين الطرفين ،والتي بعدها أصبح للشيعة ثأر جديد يسعون للمطالبة به عند الأمويين .

ورغم كثرة ضربات خصوم الدولة الأموية، إلا أن ذلك لم يؤثر فيها بقدر تأثرها بخصم جديد عرف كيف يستقطب كل القوى الناقصة، إنه الحزب العباسي، الذي نجح في جذب عنصر

---

[1] ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية): السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ،تحقيق :علي بن محمد العموان ،دار عالم الفوائد ،جدة ،ط1 ،ص31.

[2] -محمد علي الكبسي: نشأة الفكر السياسي عند العرب ،دار الفكر ،دمشق ،ط2 ،2007 ،ص79-80.

الموالي الذين كان معظمهم مع العلويين، ولكنهم لما أدركوا قدرة العباسيين على تخليصهم من ظلم الأمويين، انضموا لصفوفهم، فاتصال أبو مسلم الخرساني بالعباسيين، كان من أقوى أسباب نجاح دعوتهم ،فحسن إبراهيم حسن جعل ظهوره مرحلة فاصلة في انتصار الدعوة العباسية، إذ يرى أن هذه الدعوة انقسمت إلى قسمين؛ الأول ويبدأ مع مستهل القرن الأول الهجري، وينتهي بالتحاق أبي مسلم بالدعوة، والثاني منذ تولي أبي مسلم القيادة إلى زوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية [1].

لقد ازدادت صفوف العباسيين قوة بعد انضمام هذا الشاب الخرساني إليها ،وتنصيبه قائدا على جيوشها المتمردة على بني أمية ،هذا الشاب الذي اجتمعت فيه كل خصال القائد، من قوة، وتخطيـط، ودهاء، وقيادة ،وعن هذا الشاب يقول شوقي ضيف :«كان من دهاة الرجال و أكفئهم على النهوض بجلائل الأعمال ،فأخذ يصور للناس فساد الحكم الأموي، وما يسومهم به من خسف وظلم ،وكيف أنه سيملكهم الأرض ويجعلهم سادة بعد أن كانوا عبيدا مسترقين » [2].

والملاحظ أن نشاط الموالي تصاعد بعد انضمام أبي مسلم الخرساني للدعوة العباسية، ويعود ذلك لكونه واحدا منهم، فكان أن انضم لهذه الدعوة جمع كبير من هؤلاء الفرس.

وهكذا أدرك جميع خصوم الأمويين ضرورة القضاء على تلك الدولة التي كثر ظلمها، ولم يكن لهؤلاء وسيلة سوى الانقياد وراء بني العباس، الذين أظهروا براعة فائقة في جمع أغلب الناقمين، وعلى رأسهم الموالي الذين أظهروا بأسا وحماسا شديدين لمؤازرة العباسيين الذين لم ينسوا لهم هذا الفضل، فيما بعد، إذ قلدوهم أعلى المناص، ومن هؤلاء الموالي انضمت للعباسيين حركة تضمر الحقد والكراهية للأمويين، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أنها ساهمت بدور فعال في انتصار العباسيين، هي الحركة الشعوبية .التي جاءت كرد فعل على تعصب الأمويين للعرب، الشيء الذي حرك سخط الموالي

[1] –حسن إبراهيم حسن:،تاريخ الإسلام السياسي ،دار الجيل ،بيروت ،ط14 ،1996 ،ج2 ،ص16،17.

[2]– شوقي ضيف:،تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ،دار المعارف ،مصر ،ط16 ،سنة 2004 ،ص11،12.

وبعث روح الشعوبية فيهم، يقول حسن إبراهيم حسن :«و إذا نظرنا إلى حركة الشعوبية ،ألفيناها حربا سلمية اشتبكت فيها الألسنة و الأقلام، اشتباكا لا يقل أثرا عن اشتباك الألسنة والرماح »[1].

فما حقيقة هذه الحركة ؟ وما سبب نشاطها في العصر العباسي ؟وما أثرها في النثر العباسي؟ وكيف تمثلت في بعض مؤلفات ابن المقفع ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال التالي من هذا البحث.

[1] – حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ،ص279.

الفصـــــــــل الأول

الشعـــوبيـــــة: النشـــــأة والتطـــــور

1) مفهوم الشعوبية.
2) أسباب انتشار الفكر الشعوبي وأهدافه
3) أثر الشعوبية في النثر العباسي.

مفهوم الشعوبية:

أ–لغة :

وردت الشعوبية في المعاجم العربية بتعريفات متعددة :

–في لسان العرب: ورد أن « ...الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم وكل جيل شعب.

وقد غلبت الشعوبية، بلفظ الجمع على جيل العجم ،والشعوبي :الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلا على غيرهم، و أما الذي جاء في حديث مسروق أن رجلا من الشعوب أسلم ،فكانت تأخذ منه الجزية، فأمر عمر ألا تؤخذ منه، قال ابن الأثير :الشعوب ها هنا العجم، ووجهه أن الشعب ما تشعب من قبائل العرب أو العجم ،فخص بأحدهما، ويجوز أن يكون جمع الشعوبي، هو الذي يصغر شأن العرب كقولهم اليهود والمجوس في جمع اليهودي والمجوسي» [1].

–في القاموس المحيط: جاء فيه: «الشعب – الشعوبي ...محتقر أمر العرب وهم الشعوبية » [2].

–في كتاب العين: ورد فيه:« الشعب ما تشعب من قبائل العرب، وجمعه: شعوب، و يقال: العرب شعب والموالي شعب، والترك شعب وجمعه شعوب.

والشعوبي: الذي يصغر شأن العرب فلا يرى لهم فضلا [3].

---

[1] –ابن متطور، لسان العرب(من ش إلى ع):تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، بيروت، ج4،ص227.

[2] –الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت ،بيروت،ط1995،1،ج1،ص117.

[3] –أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ص293.

-في المعجم الوسيط :جاء فيه :« الشعوبية نزعة في العصر العباسي، تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط من قدرهم، والواحد شعوبي »[1].

فالملاحظ في هذه التعريفات أن أصحاب هذه المعاجم أجمعوا على أن مفهوم الشعوبية اللغوي هو محتقر أمر العرب، و المصغر لشأنها، المجرد لها من كل فضل.

ب-اصطلاحا :

تناول الكثير من الباحثين والدراسيين الحديث عن مفهوم الشعوبية قديما وحديثا.

فمن القدماء القرطبي الذي يعرفها بقوله :«الشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم »[2].

ويعرفها ابن قتيبة :« إن الشعوبية نتيجة الحسد، وهي تدفع العرب من كل فضيلة وتلحق بهم كل رذيلة ... »[3].

و لا يختلف المحدثون في مفهوم الشعوبية وبيان أهدافها عما ذهب إليه الرواد من القدماء.

فمحمد كرد علي يصف الشعوبيين بقوله:« قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجـــم ...»[4].

أما محمود شكري الألوسي فيرى أن الشعوبية :«فرقة من الناس ذهبوا إلى تصغير شأن العرب، وأنهم لا يرون لهم فضلا على غيرهم »[1].

---

[1] إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار: المعجم الوسيط، مطبعة مصر، 1960 ،ج1،ص486.

[2] -أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية،1841،ج11،ص189.

[3] -أبو محمد عبد الله ابن قتيبة :كتاب العرب أو الرد على الشعوبية، جاء ضمن كتاب رسائل البلغاء لمحمد كرد علي ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة،ط4،ص269.

[4] -محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مطبعة دار الكتب العربية القاهرة،1934،ص534.

ويذهب فاروق عمر فوزي إلى مفهوم أشمل للشعوبية بقوله : «الشعوبية حركة فكرية اجتماعية قامت بها جماعات غير عربية بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ثقافته وإرثه الحضاري ،وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية ،ومهاجمة التراث العربي الإسلامي، والتشكيك بدور العرب التاريخي والاستهزاء بالقيم والمثل العربية مقابل الاعتزاز بالإرث الحضاري الأعجمي، والتمجيد بالقيم والسجايا غير العربية و إحياء الثقافات الأعجمية »[2].

بعد هذه التعريفات يمكن إجمال مفهوم الشعوبية بأنها تيار فكري وسياسي ضم طبقة من شعوب العجم الذين عاشوا داخل الدولة العربية الإسلامية وهم من كان يطلق عليهم الموالي [3]والذين حملوا كل مظاهر الحقد والتعصب لقومياتهم ضد العنصر العربي، ونظروا إليه نظرة ازدراء مجردين إياه من كل مزية رافضين الاعتراف بفضله ملصقين به كل نقيصة، وفي المقابل أشادوا بأجناسهم واجتهدوا في إبراز فضائلهم ،مستندين في دعواهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، إذ فسروا تلك الآيات والأحاديث بحسب ما يخدم أفكارهم، و كانت أكثر الآيات التي وظفوها قوله تعالى :«يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[4] ،حيث فسرها الشعوبيون على إنها تأكيد على أفضلية العجم، فالشعوب الوارد ذكرها في الآية يقصد بهم الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، أما القبائل ففسروها بأنهم العرب، على اعتبار أن العرب مجموعة قبائل ،وكان نطقهم في التفسير أن تقديم الشيء على الشيء يعد تفضيلا للأول على الثاني، فتقديم لفظ الشعوب على القبائل في الآية الكريمة يعد تفضيلا للشعوب على القبائل [5] أما

---

[1] –محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ت:محمد بهجت الأثري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر،ت، ص159-160.

[2] –فاروق عمر فوزي :ا لعراق و التحدي الفارسي، دار النشر الثقافية العامة،بغداد،1987، ص 113.

[3] –الموالي: يعرفهم أحمد الشايب في كتابه تاريخ الشعر السياسي،ص266،265،بأنهم غير العرب ممن بلغ الإسلام أرضهم وخاصة منهم الفرس...فأطلقوا عليهم لفظة (الموالي).

[4] –سورة الحجرات، الآية 13.

[5] –ابن قتيبة :فضل العرب والقتيبة على علومها: تقديم وتحقيق ،وليد محمود خالص، دار الكتب الوطنية ،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث 1998م،ص107-108.

استشهادهم بالأحاديث النبوية فكان واسعا إذ وضعوا الكثير منها متقولين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله مسندين للصحابة والتابعين رواية تلك الأحاديث التي تنسب الفضل للعجم من ذلك قولهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم :«لأنا أوثق بهم مني بكم »، وقوله :« لا تسبوا فارسا فما سبه أحد إلا أنتقم منه عاجلا أو آجلا »[1].

فالملاحظ أن اعتماد الحركة الشعوبية على وضع الأحاديث والتأويل الخاطئ للآيات يعبر على جهد كبير لنشر أفكارها وجلب المزيد من الأنصار، ذلك أنهم يدركون حجم تأثير الدين في الناس.

وفي هذا المقام ينبغي أن نذكر تعدد أجناس الشعوبية إذ «كانوا أصنافا مختلفة، منهم فرس، ومنهم نبط، ومنهم قبط ،ومنهم أندلسيون، وقد صبغت شعوبية كل صنف من هؤلاء صبغة خاصة، فالفرس صبغت صبغة وطنية تدعوا إلى الاستقلال ،واتخذت في بعض الأحيان شكل زندقة والحاد، والنبط ظهرت في شكل عصبية للأرض وزراعتها ،وتفضيل معيشة الحرث والزرع على الصحراء ومعيشتها، والقبط ثاروا ثورات مختلفة على العرب وأرادوا طردهم من بلادهم ...»[2].

بعد معرفتنا لطبيعة الشعوبية ينبغي التساؤل عن دافع هذا الغل والحقد على العرب ؟ و معرفة أسباب ظهور هذا التيار الشعوبي ؟ .

[1] –أحمد أمين :ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997، ص77.

[2] –المرجع نفسه،ص77.

أسباب انتشار الفكر الشعوبي:

يمكن إرجاع أسباب انتشار الفكر الشعوبي إلى عاملين أساسيين:

أولهما عصبية العرب، وثانيهما حقد الأعاجم الناتج عن هذا التعصب.

1- تعصّب العرب :

إن الحديث عن بدايات ظهور التيار الشعوبي يعود بنا إلى العصر الأموي الذي تجمع المصادر والمراجع على كونه شهد ميلاد هذا التيار نتيجة للتعصب العروبي السائد إبان الدولة الأموية، اذ عادت العصبية الجاهلية من جديد على الرغم من أن الإسلام حاربها وحاول القضاء عليها، فغير العرب وبخاصة الموالي عوملوا بازدراء و احتقار لا لشيء سوى لأنهم غير عرب، ويمكن رد تعامل العرب مع غيرهم بهذا الاستصغار إلى إحساسهم بالأفضلية كيف لا وهم الذين استطاعوا أن يهزموا أعظم دولتين في ذلك العصر (الفرس، الروم)، فنشوة الانتصار تحولت مع الوقت إلى فخر وإحساس بالأفضلية وفي هذا يقول عزيز فهمي :« فما كانت (العرب)لتنظر إلى فارس والروم إلا كما ينظر القزم الهين إلى المارد العملاق ذي الحول والجبروت وشاء ربك أن يخضعوا هذه الأمم التي دخلت في الدين الإسلامي ،فلم لا يبغي العربي في الأرض و ينتمّر ؟ »[1].

نعم لقد أحس العرب بالأفضلية فاعتقدوا أنهم الأشراف وغيرهم دون ذلك، واحتقروا الأجناس غير العربية ويمكن تلمس تلك المعاملة في جملة من المواقف منها:

1-جاء في كتاب الأغاني :« وقف رجل من بني زيد شريف لا أحب أن أسميه على بشار فقال له :يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم إلى الانتقاء منا وترغيبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك

[1] -عزيز فهمي :المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول ،تحقيق :محمد قنديل البقلي ،دار المعارف ،مصر ،ص180.

الولاء، وأنت غير زاكي الفرع، ولا معروف الأصل » [1]،ولا ذنب لبشار إلا أنه رغب بنفسه وقومه عن الولاء إلى غير أصولهم وأشباههم فعد الرجل الشريف هذه الرغبة ذنبا عظيما ! .

2-جاء في الأغاني كذلك: «دخل أعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده وعليه بزة الشعراء، فقال الأعرابي :من الرجل ؟ فقالوا :رجل شاعر، فقال :أمولى هو أم عربي ؟ قالوا: بل مولى، فقال الأعرابي : وما للموالي و للشعر » [2].

3-قال ابن عبد ربه:« وقال ابن أبي ليلى: قال لي عيسى بن موسى، وكان جائرا شديد العصبية: من كان فقيه البصرة ؟قلت: الحسن بن أبي الحسن، قال: ثم من ؟ قلت: محمد بن سيرين، قال: فما هما ؟ قلت: موليان، قال: فمن كان فقيه مكة ؟ قلت: عطاء بن رباح ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وسليمان بن يسار، قال :فمن هؤلاء ؟ قلت :موالي، قال : فمن فقهاء المدينة ؟ قلت: زيد بن أسلم ، و محمد بن المنكدر ونافع بن أبي نجيح، قال : فما هؤلاء ؟ قلت : موالي فتغير لونه ، ثم قال :فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت: ربيعة الرأي وابن أبي الزناد قال : فما كانا ؟ قلت : من الموالي، فأريد وجهه ثم قال : فمن كان فقيه اليمن ؟ قلت: طاووس ووهب وهمام ابن أمنيه، قال فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالي، فانتفخت أوداجه وانتصب قاعدا ... ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قال : فوالله لولا خوفه لقلت : الحكم بن عيينة وعمار بن أبي سليمان ولكن رأيت فيه الشر، فقلت :إبراهيم والشعبي ،قال :فما كانا ؟ قلت : عربيان، قال : الله أكبر، وسكن جأشه » [3].

---

[1] -أبوا الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، مؤسسة دار الشعب، 1969م، الجزء 3 ،ص1049.

[2] -المصدر نفسه، ص1012.

[3] -ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :العقد الفريد، شرح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د.ت،ج3، ص418.

4-جاء في المصدر السابق: « وكانوا يقولون: لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى... وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم إلى أبيها ولا إلى أخيها و إنما يخطبها إلى مواليها، فإن رضي زوج و إلا رد فإن زوج الأب أو الأخ بغير رأي مواليه فسخ النكاح »[1].

5-وجاء فيه أيضا :« وقال زياد : دعا معاوية الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب فقال : إني رأيت هذه الحمراء-يعني الموالي-قد كثرت وأراها قد طعنت على السلف، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطرا و أدع شطرا لإقامة السوق وعمارة الطريق، فما ترون ؟[2].

هذه إذن بعض الممارسات العربية إزاء العجم، والتي لا يمكن تعميمها « فقد كانت هناك طائفة كبيرة من خيارهم تدين بتعاليم الإسلام، وتجعل قياس الفضل التدين لا الدّم »[3] وهذا ما جسده الخليفة الأموي عمر بن العزيز الذي كان استثناء من خلال رفضه لسياسة من سبقوه والتي اغتصبت حقوق الموالي من غير المسلمين، حيث رفع الجزية عن الموالي المسلمين، و أحل العدل والمساواة التي نص عليها الإسلام، ولكن بوفاته عاد الخلفاء الأمويين إلى سابق المعاملة في الانحياز للجنس العربي، ورغم أن فترة حكم عمر بن عبد العزيز كانت قليلة إلا أن إعطاءه للموالي حقوقهم كان دافعا لهم للمطالبة بعد ذلك لاستردادها.

2- حقد الأعاجم :

تحدثنا عن السبب الأول في انتشار الفكر الشعوبي وقلنا إن المعاملة السيئة للأعاجم من قبل العرب كانت الشرارة الأولى لظهور الشعوبية، إذ من الطبيعي أن يكون للفعل رد فعل،حيث تشكلت

---

[1] -ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، شرح إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د.ت ،ج3 ،ص415.

[2] -المصدر نفسه ص،416.

[3] -أحمد أمين :ضحى الإسلام، ج1 ،ص40.

حركة رفض لهذه المعاملة العنصرية متخذة شكلا سليما من خلال التركيز على تعاليم الإسلام التي تسوي بين كل الأعراق والأجناس، لتكون بداية الشعوبية رفع شعار المساواة بسلمية لكن بعد فترة تحولت إلى ثورات مسلحة كما كان الحال مع ثورة الموالي في عهد عبد الملك بن مروان والذي بعث إليهم الحجاج بن يوسف الثقفي فقضى عليهم.

وتبعا لذلك قسم الباحثون والدارسون الشعوبية إلى أقسام، فشوقي ضيف يقسمها إلى قسمين : قسم أول معتدل وهم من وقفوا عند حد التسوية بين العرب والشعوب الأخرى، وقسم ثان وهم المتجاوزون حد التسوية بين العرب وغيرهم من الشعوب إلى السخرية والاحتقار والحط من مكانة العرب وهؤلاء من تنطبق عليهم كلمة الشعوبيين [1]، أما أحمد أمين فقد قسم الشعوبية إلى ثلاث نزعات. الأولى وهي التي تفاخر بالعرب وتعتبرهم خير الأمم، الثانية نزعة المساواة بين العرب والعجم على اعتبار أن الناس من طينة واحدة ، ومن سلالة رجل واحد، أما النزعة الثالثة فهي التي تميل إلى الحط من شأن العرب وتفضيل العجم[2].

ورغم اختلاف الباحثين والدارسين حول تقسيمات الشعوبيين إلا أنهم اتفقوا على أن الحركة الشعوبية ظهرت تدعوا للمساواة نتيجة للحيف الذي لحق بالعجم إبان الحكم الأموي، ولكن مع انتصار العباسيين وتغلغل الأعاجم في دواليب الحكم العباسي برز لفظ الشعوبية بدل المساواة ليفصح أصحاب هذه الحركة عن أحقادهم الدفينة، ويعد الوزراء والشعراء والكتاب قادة هذه الحركة الشعوبية فكل من موقعه أبرز مثالب العرب و أورد مزايا بني جنسه معتمدين على جملة من العوامل منها :

1. ذهبوا إلى أن ملوك الأرض أجمعين كانوا من العجم[3].

[1] -شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ،ص75 .

[2] -أحمد آمين : ضحى الإسلام ، ص67-73.

[3] -ابن عبد ربه : العقد الفريد ،ج3 ، ص407.

2. ذكروا أن الأنبياء كلهم من العجم إلا أربعة من العرب [1].

3. ذكروا أن النكاح كان يقع عند العرب أحيانا بلا عقد ولا إستبراء فكيف يدري الرجل من أبوه ؟ [2].

بقي أن نشير إلى أن حقد الشعوبيين وبالخصوص الفرس منهم لم يكن نتيجة المعاملة العربية السيئة فحسب، بل يعود أساسا إلى حقد المغلوب على الغالب حين تهاوت أسطورة الدولة الفارسية أمام العرب لتلحق بها الإمبراطورية الرومانية يقول عزيز فهمي :« فغير معقول أن تكون هذه الأمم المغلوبة على أمرها قد نسيت قوميتها ولا سيما أمتي الفرس والروم، وقد زحزحهما عن سلطنة الأرض ملك العرب الجديد » [3].

مما سبق يمكن القول إن ظهور الفكر الشعوبي يُعزى إلى سببين اثنين : أولاهما المعاملة السيئة للموالي من قبل العرب، وثانيهما حقد الموالي على العرب نتيجة لتلك المعاملة، يقول أحمد الشايب : « لما اعتز العرب بعربيتهم التليدة بخلقها وبيانها ، ... ثم استطالوا على الموالي واحتقروهم ، واعتبروهم دونهم دما، وجنسا ، ولغة و أدبا ، وشجاعة ، وخلقا، تولد في نفوس الموالي تيار عكسي نقموا به على العرب ...» [4].

[1] – ابن عبد ربه : العقد الفريد ،ج3 ، ص408.

[2] – المصدر نفسه ،ص414.

[3] – عزيز فهمي :المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول ، ص181.

[4] – حسن ابراهيم حسن :تاريخ الشعر السياسي ، ص222.

أهداف الفكر الشعوبي :

تحدثنا عن أسباب ظهور الشعوبية في العصر الأموي مطالبة بالمساواة فالبداية، وهو ما اكسبها أنصارا كثر ممن وقع عليهم حيف بني أمية، لكنها لم تجرأ على البوح بمطالبها وأهدافها العنصرية، خاصة وأن العصبية العربية في الدولة الأموية كانت تدعمها السلطة، يقول عزيز فهمي: "لكن العصبية العربية كممت الأفواه و أخدت أصحابها ...أخد عزيز مقتدر "[1].

وهكذا لم تستطع الشعوبية التعبير عن نفسها والإفصاح عن حقيقتها في العصر الأموي نتيجة للقيود المفروضة، وهو ما جعلها تتحالف مع من تمرد على الدولة، لينظم الموالي للدعوة السرية للعباسيين الساعين لإسقاط حكم بني أمية ، وبعد ما تم للعباسيين ما أرادوا لم ينسوا للموالي ذلك الفضل في دعمهم، فقلدوهم أعلى المناصب المدنية والعسكرية، ليفصح بعض الموالي عن حقدهم للعرب ،وعن مطالبهم التي أخفوها من قبل. وهي العمل على استرجاع دولة الفرس التي قضى عليها العرب، فكل نشاطات الشعوبية مردها بلوغ ذلك الهدف، والذي بدأت المحاولات الأولى لتحقيقه على يد أبي لؤلؤة المجوسي قاتل الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه "، كما أن هؤلاء الموالي بقوا محافظين على نظرة بني جنسهم القديمة للعرب وما تحمله من تعالي واحتقار، إذ لم يقبلوا أن يسودهم العرب.

وقد أجمل عبد الله سلوم السامرائي أهداف الشعوبيين في[2]:

1. تشويه مبادئ الإسلام وهدمها من الداخل.
2. إزالة السلطان العربي وتشويه الحضارة العربية.
3. إعادة السلطان الفارسي.

---

[1] – عزيز فهمي: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، ص189.

[2] –عبد الله سلوم السامرائي : الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ،دار الحرية للطباعة، بغداد ،1981م ،ص137.

وبعد أن تهيأت الظروف لهذه النزعة عبرت عن نفسها، وصرحت بنواياها وكشفت أهدافها التي بدأت تعمل على تحقيقها ، وعلى هذا الأساس تعدد ظهور حركات الموالي التي عدها بعض الدارسين معبرة عن النزعة الشعوبية [1]،فالموالي شاركوا العباسيين في التخلص من بني أمية، وهو ما جعلهم يحضون بالمناصب في الدولة العباسية، وحينما بدأ يظهر حقدهم على العرب جميعا، إذ رغم تحالفهم مع العباسيين إلا أن منهم من خرج على الدولة الجديدة لأسباب دينية، وأخرى عصبية فتبين أن ذلك التحالف مجرد اجتماع مصالح مشتركة، يمكن لهذه النزعة التخلي عن حلفائها لأجل بلوغ مساعيها [2].

ومن أبرز حركات الموالي:

1. **الحركة الروندية** :وهي حركة سياسية دينية قام بها الموالي العاملين على إعادة الديانة المجوسية أو ما تفرع عنها، كالزرادشية أو المانوية أو المزدكية أو غيرها، وظهرت في عصر أبي جعفر المنصور، على اثر مقتل أبي مسلم الخرساني، وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة روند ،وقد جلبت هذه الحركة الكثير من المعتقدات المجوسية وحاولوا إدخالها الإسلام. حتى أنهم عبدوا الخليفة المنصور إتباعا لما كانوا عليه من تعظيم لملوكهم[3].
2. **المقنعية:** وهي حركة كذلك من حركات الموالي ممن اخفوا بعضهم للإسلام وعملوا على إحياء ديانات فارس القديمة، فكانت تعاليمهم تتم عن حلم استعادة مجد دولة الفرس [4].

---

[1] -محمد إبراهيم الفيومي :الشيعة الشعوبية و الأثنا عشرية، دار الفكر العربي، القاهرة ،ط1، 2002، ص279.

[2] -المرجع نفسه،2002 ، ص125، 126.

[3] -حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي =،ج2، ص89.

[4] -المرجع نفسه.

3. **الخرمية** :وهي أخطر حركة دينية سياسية ،قام بها الموالي في العصر العباسي، كشفت عن حقدها على العرب، وعملها على إسقاط دولتهم، وإحياء سلطان فارس الذي قضت عليه الدولة الإسلامية، ويعود ظهورها إلى مؤسسها مزدك في عهد أنوشروان، وقد تشعبت عن هذه الحركة حركات أخرى، منها حركة بابك الخرمي، والتي ادعى زعيمها الألوهية و الذي يقال أنه من سلالة أبي مسلم الخرساني، وأنه خرج للانتقام له [1].

4. **حركة الزندقة** :يرى عبد الرحمن بدوي أن لفظ الزنديق يطلق على من يؤمن بالمانوية وهي : واحدة من ديانات فارس القائلة بوجود إلهين النور والظلمة، النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر، وفي العصر العباسي قويت هذه الطائفة، وأظهرت طقوسها علانية، مما جعل الخلفاء يقيمون مجالس لمناظرة الزنادقة للتأكد من زندقتهم، ودعوتهم إلى الاستقامة قبل إقامة الحد عليهم [2].

والزنادقة طوائف وأنواع ، فعبد الرحمن بدوي يصنفها إلى ثلاثة طوائف، ولكل طائفة دوافع، الأولى هم رؤساء المنانية في الإسلام؛ وهم من كانوا يعتقدون بهذا المذهب اعتقادا صادقا، نابع عن قناعة دينية، فكان هذا دافعهم لاعتناق هذا المذهب، والثانية هم المتكلمون؛ أصحاب الشك من الزنادقة الذين اتخذوا هذه الحركة وسيلة من وسائل العبث الفكري التي يلجأ إليها الشكاك دائما بالاعتماد على العقل دون المصالح أو الإيمان ، والتي يصبو من ورائها إلى إفساد عقائد الناس والعبث بها، والثالثة طائفة الأدباء من كتاب وشعراء، وان كان للإتجاه الثاني فيها أثر كبير، إلا أن أكبر دافع أثر فيها كان النزعة الشعوبية، فقد وجد هؤلاء في الزندقة تراثا قوميا يشبع نزعتهم القومية الشعوبية، فالشعراء والكتاب لا يستهويهم الإيمان، ولا قبل لهم بالإمعان في الشك الفكري، ولكن تستهويهم

---

[1] – حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسي،ج2 ،ص 91،92 . .

[2] –عبد الرحمان بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1980، ص28.

الأحداث المثيرة للعواطف والخيال، وهذا ما ساعد الشعوبية على إثارة موضوع المفاضلة وتعديد المناقب والمثالب [1].

ومن هذا يتضح أن الشعوبية خطوة من خطوات الموصلة إلى الزندقة، وهذا ما يذهب إليه الجاحظ في قوله: "إن عامة من ارتاب في الإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه، وطول الجدال المؤدي إلى القتال، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذ ابغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة " [2].

و لهذا السبب نجد أن الكثير ممن اشتهروا بالشعوبية رموا في ذات الوقت بالزندقة ولقوا حتفهم جراء ذلك.

وخلاصة القول في حركات الموالي وأهداف الشعوبية ككل أن الدين الإسلامي هو المستهدف الأول لديها، خاصة وأن تعاليم حركات الموالي ذات النزعة الشعوبية تدعو إلى استعادة الديانات الفارسية القديمة، ليتجلى من خلال ذلك حقد أولئك الموالي على الدين الذي كان سببا في قوة الدولة الإسلامية، والعنصر العربي الحامل لذلك الدين ،فهم يدركون حال العربي قبل الإسلام، وكيف تمكن هذا البدوي من إسقاط إمبراطوريتين آنذاك (الفرس – الروم).

---

[1] –عبد الرحمان بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص35.36.

[2] –الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) :الحيوان، تحقيق :عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، مصر، ط2 ،1968، ج7، ص220.

أثر الشعوبية في النثر العباسي :

شكل الأدب أحد أهم العناصر الثقافية للشعوب ،فهو بنوعيه (الشعر ، النثر)مرآة عاكسة لهوية الأمم وحضاراتها، والأمة العربية لم تكن استثناء، فقد حظي الشعر عندها بمكانة مميزة، إذ عد ديوانا للعرب، وإذا أردنا الحديث عن الشعوبية في الشعر، فإننا نجد هذا الأخير عبر عنها تعبيرا واسعا، غير أن هذا لا يعني أن النثر افتقر للحديث عن هذا الموضوع، بل فصّل ووضّح، وروى وقصّ، وهاجم ودافع، وبصورة عامة عبر عن فكر جديد أعلن عن نفسه بوضوح في العصر العباسي وانعكس ذلك في مؤلفات تناولت أفكار الشعوبيين، وأخرى تناولت أفكار من رد عليهم .

1- ملامح الشعوبية في آداب الأمم القديمة :

إن المتتبع لكتابات كبار الأدباء في الأمم السابقة، يجدها تعبر عن شخصية و هوية أممهم، فكل منهم يحاول رسم صورة مثالية لأمته من خلال الحديث عن مآثرها و أمجادها، مما يبعث في نفوس بني جلدته عزَّ الانتماء .

فهوميروس أبدع إلياذته المسجلة لمعتقدات ومزايا الشعب اليوناني ومعاركه البطولية التي خاضها لإثبات وجوده، وهكذا يخلق الشعب أو تخلق الأمة أسطورتها الخالدة، لتبقى الحافز لأبناء الأمة على الدوام من اجل المجد والسيادة[1].

وقد سار فيجل على نهج "هوميروس"، ليكتب للرومان كتابهم المقدس الذي يحوي تاريخهم ومعتقداتهم، وبطولاتهم وطبائعهم وميزاتهم .

ولا يعدم هذا الأمر عند الفرس، إذ نجد "رودكي" على رأس الأدباء الفرس الذين عبروا عن النهضة الفارسية والتي كانت على أيدي الساسانيين ما بين 242م إلى الفتح الإسلامي وهزيمتهم سنة 642م[2].وبدخول الإسلام بلاد فارس اعتنق بعض أهلها الدين الجديد وحسن إسلامهم، ولكن

---

[1] -هوميروس: الإلياذة، ترجمة أمين سلامة، دار الفكر العربي، ط2، 1981، ص22.

[2] -ول ديورانت :قصة الحضارة، عصر الإيمان12، ترجمة محمد بدران، دار الجيل والتوزيع، بيروت، ج2، مجلد4، ص286.

طائفة من المتعصّبين لفارسيّتهم الذين لم يرقهم الإسلام لميلهم إلى حياة المجون والعربدة وجدوا مع الذين لحق بهم ظلم بني أمية، وبتحريض من اليهود، وجدوا أنفسهم مجتمعين في عداء مع الدولة العربية المسلمة التي يحكمها الجنس العربي، والذي أطاح بالحكم الفارسي وكسر هيبة الفرس الأسطورية، فهذه العناصر مجتمعة وغيرها شكلت ما يعرف في الأدب باسم الشعوبية .

إن نظرة الحقد والغيرة لدى الفرس المزهوين بحضارتهم العظيمة، جعلتهم لا يستوعبون تسلم العرب زمام القيادة بعد أن كانوا مستضعفين، ولاسترجاع بعض ما ضاع منهم، أطلق الفرس العنان لألسنتهم وأقلامهم للاستنقاص من العرب ،محاولين دس الأكاذيب في التاريخ، محاربين كل قيم العروبة والتي هيا بالأساس قيم الإسلام الذي حقدوا عليه كذلك لأنه سبب نهضة العرب .

و من كل ما سبق يتضح أنّ الحركة الشعوبية تشكّلت بناء على موروثات فكرية يمتزج فيها التّاريخ و السّياسة، والدّين، والقوميّة، و السّيادة ...

2-الشعوبية السياسية ودورها في إذكاء الفكر الشعوبي :

إن المتتبع لتطور الحركة الشعوبية، يجد أنها بدأت حركة مسالمة تنشد المساواة والتحرر من ظلم سَاسة بني أمية ،لتتحول إلى حركة سياسية تسعى لتحقيق أهدافها بكل الوسائل، حتى الحربية منها، وما ثورة أبي مسلم الخرساني ضدّ السّلطة الأمويّة إلا دليلا على ذلك، فهي واحدة من الثورات التي قام بها الشعوبيون ضد العرب[1]، ليدخلوا معترك الصراع السياسي، ويساهموا في إسقاط الدولة الأموية، لينالوا المكانة في الدولة العباسية إذ أصبح منهم الوزراء والأعيان، أمثال البرامكة الذين عُرفوا بتعصبهم للعجم ،وللجنس الفارسي بالخصوص، فهذه الأسرة الفارسية شديدة الصلة بالعباسيين تمكنت من السيطرة على مفاصل الدولة، ومن ثم سعت إلى تشويه التاريخ العربي، وتشجيع الأدباء والشعراء ذوي التوجه الشعوبي على ترجمة الكتب الفارسية المنطوية على عقائد وديانات الفرس، إضافة الى كتب التاريخ والأدب، قاصدين من ذلك مباهاة العرب بما لديهم من ثقافة وأدب، وقد بدلوا في سبيل ذلك

[1] -عزيز فهمي : المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول ، ص207.

الأموال الطائلة [1]، ومن أمثلة ذلك عند نظم الشاعر "أبان بن عبد الحميد بن لاحق كتاب كليلة ودمنة شعرا وأهداه إلى جعفر بن يحي البرمكي كافأه بمائة ألف درهم "[2].

ومما يؤيد شعوبية طبقة الأدباء الذين اعتمد عليهم البرامكة لنشر الثقافة الفارسية وكره هؤلاء للعرب وصف ابن قتيبة لهم بقوله :"فإن هو (أي الكاتب الشعوبي) عرف خيرا ستره وإن ظهر حقره، وان احتمل التأويلات صرفه إلى أقبحها، وان سمع سوءا نشره "[3].

احتضن البرامكة إذا الأدباء الشعوبيين ووفروا لهم الحماية والرعاية، فانطلقوا ناثرين سهومهم ضد كل ما هو عربي، فكان من أشهرهم علان الوراق، وسهل بن هارون في الأدب، وحماد وخلف الأحمر في الشعر، وفي الترجمة عن الفارسية الفضل بن سهل وأبان اللاحقي .

كما كانت للبرامكة مجالس خاصة في قصر جعفر بن يحي تعقد أسبوعيا ويحضرها كبار الشخصيات الفارسية في بغداد، ولا يحضرها أحد من العرب لأن لغة التخاطب فيها فارسية، ولهذا المجلس وجهان: ظاهره المؤانسة والاجتماع على الشراب والتحدث في الأدب الفارسي، والتغني بأمجاد ساسان والملوك الأقدمين وذكر فتوحاتهم وبطولاتهم ومذاهبهم وأديانهم، وباطنه أشبه بمقر لحزب فارسي كبير يعنى بشؤون بلاد فارس وحل مشاكلها القائمة [4].

ومن مظاهر شعوبية البرامكة كذلك احتضانهم لبني جنسهم وتفضيلهم على غيرهم بإفساح المجال أمامهم لاستلام المناصب الهامة في الدولة، ومن أمثلة ذلك أسرة آل سهل الفارسية المجوسية التي تولى الكثير من أفرادها مناصب في ديوان الخلافة ، وخصوصا ما كان من أمر الفضل بن سهل الذي نقل كتابا من الفارسية إلى العربية وأهداه ليحي بن خالد ،فأعجب به حتى قال فيه :" في كل أربعين سنة يحدث رجل يحدد الله به دولة وأنت عندي منهم "[5].

---

[1] -الجهشياري :أبو عبد الله محمد، الوزراء والكتاب، تحقيق محمد السقا و آخرون، ط1، مصر، سنة1938، ص211.

[2] -الجاحظ :أبو عثمان عمرو، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1965، ص43.

[3] -ابن قتيبة :فضل العرب والتنبيه على علومها، ص43.

[4] -جورجي زيدان :تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت ،لبنان، د.ن، د.ت، ج4، ص435.

[5] -الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص231.

وتبدو شعوبية البرامكة ظاهرة للعيان، فهذا الأصمعي يقول :

((إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمك

ولو تليت بينهم آيـــة أتو بالأحاديث عن مزدك))[1].

مما سبق يمكن القول أن التوجه الشعوبي للبرامكة ظهر جليا في تعصبهم لبني جنسهم بتوليتهم المناصب المهمة، إضافة إلى احتضانهم للكتاب والأدباء والشعراء الحاقدين على العرب وعلى الإسلام، و تشجيعهم على الحديث في مثالب العرب و الإنتقاص من تقاليدهم وقيمهم، وفي المقابل الإشادة بتاريخ الفرس وأمجادهم، ولعل هذه الشعوبية المقيتة السبب الرئيس في نكبة آل برمك حينما انقلب عليهم هارون الرشيد وأودعهم السجون .

3:أبْرز من ألَّف في النّثر الشُّعُوبي ومَنْ ردَّ عليهم:

كثرت المؤلفات في العصر العباسي التي تحدثت عن الشعوبية سواء تلك التي تعرضت لمثالب العرب، أو من رد عليها.

أولا: أشهر الكتاب الشعوبيين:

أ- أبو عبيدة معمر بن المثنى:

يعد أبو عبيدة من علماء الأدب واللغة والرواية، ومن أشهر من رُموا بالشعوبية، شهد عليه الكثيرين بكرهه للعرب، يقول عنه ابن خلكان :"وكان يكره العرب وألف في مثالبها كتبا "[1]،وفيه يقول احمد أمين: "وليس للعرب حرمة في نفسه ... بل في نفسه الكراهية لهم فهو يطلق لسانه في هجومهم وذكر مثالبهم، وأبو عبيدة يمثل فكرة الشعوبية والبحث عن معايب العرب والتشهير بهم "[2].

[1] -أحمد آمين :ضحى الإسلام، ص87، نقلا عن ابن خلكان ج2، ص155.

[2] -المرجع نفسه :ص90-91.

ألف أبو عبيدة العديد من الكتب في ذم العرب ولم ينج من ذمه حتى النبي صلى الله عليه وسلم «فقد وضع كتابا للمثالب يطعن فيه على بعض أنساب النبي صلى الله عليه وسلم »[1]،ومن كتبه "لصوص العرب "،و"أدعياء العرب"، "فضائل الفرس "،و"كتاب النقائض بين جرير والفرزدق "[2]،فالملاحظ من عناوين هذه الكتب أن أبا عبيدة كان يعمل على الحط من قدر العرب ويفخر بالفرس، ففي كتابه النقائض بين جرير والفرزدق يقول :"ورأوا أم الدرداء السليطية عريانة تعدو فألقى قعنب بن عصمة عصابة كانت فوق بيضته عليها"[3].ومنها قوله :"أن عمرو بن المنذر أخذ امرأة زرارة وهي حبلى فبقر بطنها وانصرف وأنه أخذ الحمراء بنت ضمرة النهشلي فقذف بها في النار "[4]، وقال في تشويه موقف العربي من جاره : " أن طوائف من بني تميم اللات بن ثعلبة نزلت في جوار رجلين من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة يقال لهم كدام و المساور فأكل هذان من نزل عليهما منهم وجعلا يتعبثان بنسائهم "[5].

يعلق الدكتور محمد غناوي الزهيري على هذه القصص والشروح بقوله :"فكيف يتفق وطبيعة الأشياء أن تتعرى امرأة من ثيابها في الصحراء دونما سبب وكيف يعقل أن يجاهر عربي بالغدر في جيرانه والعبث بنسائهم ... بل كيف يعقل أنْ تُقتل المرأة السبي وتحرق مع أن طبيعة التقاليد العربية في الحروب لا تجيز ذلك، فلاشك عندي من أن هذا التصوير يراد به الطعن في العرب وتشويه سمعتهم و تاريخهم ... فأبو عبيدة كان يبغض العرب ويؤلف كتبا في مثالبها "[6]،كما نجد ابن قتيبة يتناول شعوبية أبي عبيدة من خلال ذكره لقصة الحاجب بن زرارة التميمي وقوسه المشهورة التي دفعها إلى ملك الفرس كسرى رهنا، والتي كان يرويها أبو عبيدة عن العرب بغرض الاستهزاء بهم ، ولم يذكر ابن

---

(1) –ابن النديم :الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان ،د.ط ،د.ت ،ص9.

(2) – المصدر نفسه:ص79.80.

(3) –عبد الله سلوم السامرائي :الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، ص96 ،نقلا عن كتاب النقائض، تحقيق بيفان ،ص583.

(4) –الزهيري :نقائض جرير والفرزدق، ط1، بغداد، 1954م، ص146.

(5) –المرجع نفسه :ص146.

(6) –المرجع نفسه، ص146.167.

قتيبة القصة كاملة بل أشار إليها فقط ،متناولا استهزاء أبي عبيدة بقوس حاجب وضحكه منها والتي انطلق منها في رده ،إذ بين ابن قتيبة ما للقوس من قيمة معنوية فهي سلاح والسلاح للرجل عزة وشرف[1].

ب- سهل بن هارون :

جاء في كتاب الفهرست عن سهل بن هارون:" وكان حكيما فصيحا شاعرا فارسي الأصل، شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل "[2].

عمل سهل بن هارون خازنا لبيت الحكمة، ولاشك أن عمله هذا جعله يتضلع في الأدب واللغة، حتى أن الجاحظ روى له في كتابه البيان والتبيين نماذج عدها من رفيع القول وبليغ الكلام .

عرف سهل بن هارون بنزعته الشعوبية وله في ذلك نثر كثير ،حيث سفه عادات العرب وسخر من تقاليدهم ،ولما كان الكرم أعز ما يفخر به العرب من تقاليد، وارفع ما يتصفون به من خصائص، فقد هاجم سهل بن هارون هذه العادة وكتب رسالة يسخر فيها من الكرم ويفضل البخل عليه [3].

ألف سهل بن هارون عديد الكتب منها :كتاب "ديوان الرسائل"، كتاب "عثلة وعفرا "،كتاب "الهذلية و المخزومي"، كتاب "اسباسيوس" [4].

فسهل بن هارون شعوبي متعصب استغل وظيفته السياسية كوزير للخليفة المأمون، وملكته الأدبية للطعن في تراث العرب، وتشويه عاداتهم الكريمة.

ج- الهيثم بن عدي :

أبو عبد الرحمن الهيثم الثعلى عالم بالشعر و الأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب [1]،هكذا يبدأ صاحب الفهرست حديثه عن الهيثم بن عدي، ويضيف قائلا :"وله من الكتب

---

[1] -ابن قتيبة :فضل العرب والتنبيه على علومها، ص38.

[2] -ابن النديم :الفهرست، ص174.

[3] -المصدر نفسه :ص174.

[4] -المصدر نفسه :ص174.

المصنفة كتاب المثالب "،وقال أيضا :"وكتاب تاريخ العجم وبني أمية، كتاب المثالب الصغير، كتاب المثالب الكبير، كتاب مثالب ربيعة، كتاب من تزوج من الموالي من العرب، كتاب أسماء بغايا قويس في الجاهلية وأسماء من ولدن،.. كتاب أخبار الفرس "[2].

بنظرة متأملة إلى عناوين كتب الهيثم بن عدي ندرك مدى شعوبيته الصارخة، وحقده الدّفين على العرب، وافتخاره بالجنس الفارسي .

لقد وضع الهيثم بن عدي الكثير من الأخبار الكاذبة التي تقدح في العرب، وتسيء إليهم، ومن ذلك ما نقله المسعودي عنه :"أن رجلا من تنوخ نزل في بني عامر فخرجت إليه جارية فقالت ممن أنت قال من تميم فذكرت أبياتا في ذم تميم، فقال لها لست من تميم بل من قبيلة عجل ففعلت مثل ذلك ومازال الرجل يذكر القبائل قبيلة قبيلة و الجارية تروي الأبيات في ذمها حتى استنفد القبائل ولما انتسب إلى بني هاشم قالت أتعرف الذي يقول :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد صار هذا التمر صاعا بدر

فإن قلتموا رهـط النبـي محمد فإن النصارى رهط عيسى بن مريم[3].

ومن الأمثلة على كذب الهيثم بن عدي وصفه للأحنف بن قيس ،سيد بني تميم، والمعروف بحلمه، حيث وصفه الهيثم بأوصاف معيبة جمعها في قوله :"فما رأيت خصلة تدم في رجل إلا وقد رأيتها فيه ..."[4] ،ولم يعترف له إلا بالفصاحة حيث قال: "ولكنه إذا تكلَّم جلَّى عن نفسه "[5]. ليعقب الجاحظ على كذب الهيثم قائلا: "ولو استطاع الهيثم أن يمنع الأحنف البيان لمنعه "[6].

---

[1] -المصدر نفسه :ص145.

[2] - ابن النديم :الفهرست، ص145،146.

[3] -أحمد أمين :ضحى الإسلام، ص89، نقلا عن كتاب مروج الذهب للمسعودي، ص175،180.

[4] -أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :البيان والتبين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة المدني القاهرة، ط7 ،1998، ج1، ص56.

[5] -المصدر نفسه: ص56.

[6] -المصدر نفسه: ص56.

وهكذا نرى أن الهيثم بن عدي يفتري الكذب ويدس القصص الزائفة مستهدفا بذلك العرب أمة وأفرادا .

ثانيا : أدباء تصدوا للشعوبية :

أ–الجاحظ :

يعد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ابرز من تصدى للشعوبية، وهو ما جعل الأدباء والكتاب الفرس يظهرون له الكيد والتأم، والحقد الدفين فسهل بن هارون يعبر عن حقده للجاحظ بقوله: "إذا ثبت الجاحظ في الديوان اقل نجم الكتاب "[1].

امتلك الجاحظ ثقافة متنوعة شملت العديد من أصناف العلم والمعرفة، ومرد ذلك نشأته في البصرة، إذ كانت ملتقى أهل الفكر من العرب والأجانب مما أتاح للجاحظ الإطلاع على علوم مختلف الثقافات.

و بنظرة في كتب الجاحظ ورسائله نجده يدافع عن العرب و الإسلام، فمن كتبه التي دافع فيها عن الإسلام كتاب "الرد على اليهود " وكتاب "الرد على من ألحد في كتاب الله ". وغير ذلك من الكتب والرسائل التي وقف من خلالها الجاحظ ضد كل طاعن في الإسلام [2].

ولما استشرى خطر الشعوبية انبرى الجاحظ بقلمه مدافعا عن العرب طاعنا في الشعوبية، ومما قاله فيها: "واعلم أنك لم تر قوما أشقى من هؤلاء الشعوبية ،ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم وتوقّد نار الشّنئان في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطرمة !!"[3].

---

[1] –ياقوت الحموي :معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، دط، دت،ج16، ص79.

[2] –المصدر نفسه :ص108.

[3] –الجاحظ :البيان والتين، ج3، ص29–30.

فبمثل هذا ازدحمت ردود الجاحظ على الشعوبية في كتبه :البيان والتبيين والبخلاء والحيوان وغيرها ،وهو ما سنرى بعضه في ما هو آت من البحث، حيث أثبت الجاحظ في كتبه فضائل العرب، ورد مزاعم الشعوبية.

ب–ابن قتيبة :

من الكتاب الذين تجردوا للرد على مطاعن الشعوبية، أبو محمد عبيد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري [1]،فارسي الأصل، عرف فضل العرب على الأمم الأخرى نظير ما قدموه ،حين حملوا رسالة الإسلام الغراء .

نشأ ابن قتيبة في بغداد ،وفيما تلقى تعليمه على يد كبار الأئمة، حيث تضلع في اللغة والحديث والأدب والتاريخ، والفقه ،كما أتقن اللغة الفارسية وهو ما مكنه من امتلاك رصيد علمي ممزوج بثقافات متنوعة .

ترك ابن قتيبة العديد من المؤلفات أشهرها :(أدب الكاتب)،(الشعر والشعراء)،(عيون الأخبار)، وكتاب (فضل العرب والتنبيه على علومها) [2]، والذي خصصه للرد على الشعوبية، وهو ما سنتطرق له فيما يستقبل من البحث .

تميز ابن قتيبة في موقفه من الشعوبيين بالصراحة في تبيين دافعهم الأساسي، والذي هو الحسد إذ يقول :"و أعاذنا الله من فتنة العصبية، وحمية الجاهلية ، وتحامل الشعوبية ،فإنها بفرط الحسد، ونغل الصدر تدفع العرب عن فضيلة " [3].

---

[1] –ابن النديم :الفهرست، ص115.

[2] –المصدر نفسه :ص115–116.

[3] –ابن قتيبة :فضل العرب والتنبيه على علومها، ص33.

ج-الأصمعي :

ولد عبد المالك بن قريب الأصمعي بالبصرة، وفيها تلقى تعليمه، على يد كبار علمائها من أمثال: أبي عمرو بن العلا وشعبة بن الحجاج، عرف الأصمعي بكثرة روايته لأثار العرب.

والذي يعنينا من الأصمعي هو مقاومته للشعوبية إذ عرف أهدافهم، فحاربهم بالحجة والدليل، وكانت البصرة ميدان للصراع في البداية، حيث مثل الأصمعي العرب وأبي عبيدة الشعوبية، ومن ذلك ما ذكره أحمد أمين أن أبا عبيدة نسب إلى العرندس الكلابي بيتين يمدح فيهما بني عمرو الغنويين إذ قال في احدهما:[1]

إن يسالوا الخير يعطوه وإن خبروا في الجهد أدرك منهم طيب أخبار

وقد أنكر عليه الأصمعي ذلك، وذكر أنه من المحال أن يمدح كلابي غنويا لما بينهما من العداوة [2].

ترك الأصمعي العديد من المؤلفات منها:(كتاب الأجناس)،(كتاب خلق الفرس)، (كتاب النوادر)[3].

وفي كتاب التذكرة التيمورية سرد لمجموعة من الكتب التي ألفت في مثالب العرب ،والكتب التي ردت عليها وهي :[4]

-خزانة البغدادي الجزء2، ص519 :ذكر فيها من ألّف في مثالب العرب.

---

[1] -عمر فروخ :تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1968، ص205 .

[2] -أحمد أمين :ضحى الإسلام، ص89 ،نقلا عن الزهر، ج2، ص202.

[3] -ابن النديم :الفهرست، ص82.

[4] -أحمد تيمور باشا :التذكرة التيمورية (معجم الفوائد ونوادر المسائل)، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1953 ،ص219-222.

-في كشف الظنون (حاجي خليفة) الجزء الأول، ص417،رسالة في تفضيل العجم على العرب لأبي عامر بن عبد الرحمان السبكي،...ورد عليه أبو الطيب عبد المنعم في حديقة البلاغة، و أبو مروان في الاستدلال في (الحق في تفضيل العرب على جميع الخلق)، "خطف البارق "لأبي عبد الله العارف" .

-في إرشاد الأريب لياقوت، الجزء 5، ص66 علان الوراق الشعوبي وما ألفه في ذم العرب .

-"حذيفة البلاغة ودوحة البراعة" "رسالة في ذكر المآثر الربية ونشر المفاخر الإسلامية"، للفقيه أبي الطيب عبد المنعم بن منّ الله رد فيه ما صنفه أبو عامر بن حرشنة في "تفضيل العجم عن العرب".

-"الاستدلال بالحق في تفضيل العرب على جميع الخلق" رسالة للفقيه أبو مروان عبد المالك بن محمد الأوسى، ردا عن ابن عرس في رسالته لتفضيل العجم على العرب .

-"خطف البارق وقذف المارق "للفقيه الإمام ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي الشهيد رد فيه على بن عرس.

-كتاب "مفاضل العرب" لابن الكلبي .

-"فضل العرب على العجم "وذكر ابن الغرسية الذي ألف في فضل العجم على العرب ومن رد عليه.

-"العقد الفريد" لابن عبد ربه، وفيه نبذة عن تفضيل العرب على العجم والرد على الشعوبية.

-"الغرر والدرر" للوطواط أحد الذامين للعرب والرد عليه .

-سر الفصاحة ص58.

-"البيان والتين" للجاحظ، (كتاب العصا ج2،ص49-86).

-"كتاب العرب "ويسمى" ذم الحسد في الرد على الشعوبية "لابن قتيبة".

-"كتاب الأغاني"ج4، ص125.

-"مجموع تقي الدين الراصد"ص296.

هده عناوين كتب الشعوبية الواردة في كتاب التذكرة التيمورية أما المضامين فلأحمد أمين في ذلك تعليق يقول فيه :"ولم يصلنا شيء من هذه الكتب-على ما اعلم –كما لم يصلنا أي كتاب ألف في بيان دعوى الشعوبية، وإنما وصل إلينا نتف من أقوالهم وآرائهم ،أهمها ما ورد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وما وردفي العقد الفريد لابن عبد ربه، وما نقله عن بن قتيبة في كتابه(العرب)[1].

النص النثري الشعوبي:

اختلط الفرس بالعرب وتعايشوا مند الفتح الإسلامي أيام عمر بن الخطاب، فعرف كل منهما الكثير من الأخبار عن الآخر ،فالفرس لما انتموا إلى الدولة العربية المسلمة، تعلموا اللغة العربية، بل ومنهم من أتقنها فزاحم العرب فصاحتها [2]،وبهذا امتلك الشعوبيون سلاحهم اللغوي لشن هجماتهم ضد العرب، إذ كذبوا وادعوا ونحلو، ول م يكتفوا بالتأليف في مثالب العرب ومناقب العجم فحسب، بل لجأوا إلى نوعين:(النوع الأول)الوضع وهو أن يضعوا القصص الشنيعة في شرح الأبيات والأمثال، و يختلقوا القصة اختلاقا.

(النوع الثاني)نسبة الشيء إلى غير قائله بغية إفساد الأدب العربي، حتى لا يكون للعرب أدب موثوق[3].

ومما أعابه الشعوبيون على العرب، مظاهر البداوة، إذ جعلوها مثالب يعايرونهم بها، وعدوا أنفسهم أصحاب حضارة، وراحوا يعددون مساوئ البداوة، من أرض جرداء، وماء قليل، وأكل ضئيل

[1] -أحمد أمين، ضحى الإسلام :ص88.

[2] -شوقي ضيف :النقد ،دار المعارف، القاهرة ،ص40.

[3] -أحمد أمين :ضحى الإسلام، ص88-89.

وليس بسيط و وصفو العرب بأنهم رعاة أغنام، وهذا ما أشار إليه الجاحظ عند حديثه عن مطاعن الشعوبية بقوله: "و الشعوبية و الازدامردية المبغضون لآل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ممن فتح الفتوح، وقتل المجوس، وجاء بالإسلام، تزيد في جشوبة عيشهم، وخشونة ملبسهم، وتنقص من نعيمهم ورفاعة عيشهم، وهم من أحسن الأمم حالا مع الغيث، و أسوؤهم إذا خفت السحاب "[1]. ومما تهكم به الشعوبيون وسخروا به من العرب طريقة إلقاء الخطب باستخدام العصا والقوس إذ يقولون :"والعصا للقتال، والقوس للرمي، وليس بين الكلام وبين العصا سبب، ولا بينه وبين القوس نسب، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر، ويعترضا على الذهن أشبه، وليس في حملهما ما يشحذ الذهن، ولا في الإشارة بهما ما يجلب اللفظ... "[2]. وبعد ما رمى الشعوبيون العرب بهذه المعايب في الأداء الخطابي، ينتقلون إلى الحديث عن تفوق الفرس في الخطابة على غيرهم، "وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا .. ".

ومما فخر به الشعوبيون على العرب وخاضوا فيه مسألة الأنساب حين أدعو أن منهم جميع الأنبياء ونسبهم يعود لإسحاق بن الحرة ،ونسب العرب لإسماعيل بن اللختاء، ليتمادى الشعوبيون حتى فرقوا بين الأنبياء ،فقالت للعرب، إن كنتم تعدون الفخر كله في ملك أو نبوة ؟فإن زعمتم أنه ملك، قلنا لكم: إن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة و النماردة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة ،بل ولنا ملك الملوك سليمان عليه السلام ،الذي سخرت له الأنس والجن والطير والريح ، ومنا الاسكندر الذي ملك الأرض وبلغ مطلع الشمس ومغربها، وبنى ردما من حديد ساوى به بين الصدفين ... ومنا ملوك الهند، الذين كتب احدهم إلى عمر بن العزيز :"من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك، والذي تحته بنت ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل، والذي له نهران ينبتان العود

[1] -الجاحظ :البخلاء، تعليق وتحقيق طه الحاجري، دار المعارف، ط7، 2009، ص228.

[2] -الجاحظ، البيان والتين، ج3، ص12.

والقوة و الجوز والكافور ...إلى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئا، أما بعد ،فإني أردت أن تبعث إلي رجلا يعلمني الإسلام ويوقفني على حدوده والسلام "[1].

ويواصل الشعوبيون توجيه الحديث إلى العرب قائلين :وإن زعمتم أن فخركم بالنبوة، فإن منا الأنبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا أربعة : هودا وصالحا وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة السلام ،ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الأصل وانتم الفرع، وإنما انتم غصن من أغصاننا فقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا، فلا تزال الأعاجم في كل شق من الأرض لها ملوك تجمعها ،ومدائن تضمها، وأحكام تدين بها ،وفلسفة تنتجها، ولنا بدائع الصناعات كالديباج، ولنا لعب الشطرنج ....، ولنا آلات الوزن، وعلم الكسوف ،كل هذا وليس للعرب ملك يجمعها وينظم قوانينها، ويضم قواصيها، ويقمع ظالمها، وينهي سفيهها، ولا كان لها صناعة، ولا أثر لفلسفة، إلا ما كان من الشعر وقد شاركتها العجم فيه، فما الذي تفتخر به العرب ؟ فإنما هي كالذئاب العادية، والوحوش النافرة، يأكل بعضها بعضا، ويغير بعضها على بعض ...وهذا شأن العرب والعجم قبل الإسلام، ولما جاء الإسلام كان للعجم شطر منه، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأحمر والأسود من بني آدم .وكان أول من تبعه حر وعبد، واختلف الناس فيها ،فقال قوم :أبو بكر، بلال ،وقال قوم :علي وصهيب ،ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم صهيبا على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس، وذكر كذلك سالما مولى أبي حذيفة وقال :لو كان حيا لما قدم عليه أحد [2].

ومما تناوله الشعوبيون من قدح للعرب شمل حتى جغرافية المكان الذي يسكنونه، فهذا الجيهاني أحد كتاب المؤلفين في مثالب العرب ينقل عنه أبو حيان التوحيدي أنه (ألف كتابا سب فيه

[1] -السيد محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب، ج1، ص165-166.

[2] -ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج3، ص352،355.

العرب وتناول جوانب من حياتهم بالذم والشتم)[1]، حيث فاخر بطبيعة بلاد فارس واعتبر ذلك من علامات تفوق الفرس على العرب فقال :"مما يدل على شرفنا وتقدمنا وعزنا وعلو مكاننا إن الله أفاض علينا النعم ووسع لدينا القسم وبوأنا الجنان ... ولم يفعل هذا بالعرب بل أشقاهم وعذبهم، وضيق عليهم وحرمهم، وجمعهم في جزيرة حرجة، ورقعة صغيرة "[2].فرأي الجيهاني هذا يصور غلو الشعوبية حين تنقص من العرب لمجرد أن الله أوجدهم في بيئة صحراوية صعبة، وبقدر ما فيها سلبيات فيها ايجابيات كذلك ،وتناسوا أن أبناء هذه البيئة القاحلة هم من أنشأوا الحواضر الكبيرة وعمروها أكثر مما عمرها غيرهم، وماجنة الأندلس عن أذهان الحاقدين ببعيد .

هذه بعض إدعاءات الشعوبية التي وردت في نزر من المصاد، والتي وظفت للاستنقاص من العرب والذين بدورهم قابلوا تلك الهجمات بالمثل، وكان الأدب ميدان الصراع والمدون لذلك، فكيف ردّ العرب على مطاعن الشعوبيين ؟

النص النثري والرد على الشعوبية:

لقد كان تعصب العرب في العصر الأموي دافعا لظهور الشعوبية، إذ إمتن العرب عن العجم بمن كثير أوله أنهم السبب في إخراجهم من الكفر إلى الإيمان .و تلى ذلك جملة من الاستنقاصات منها :قولهم ؛لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة :حمار، أو كلب أو مولى، وكانوا لا يدعونهم بالكنى، بل بالألقاب والأسماء، ولا يمشون في الصف معهم، ولا يتقدمونهم في الموكب، و يمنعونهم من الصلاة على الجنائز إذ حضر أحد من العرب، وكان الخاطب منهم لا يخطب امرأة من أبيها أو

[1] –التوحيدي:الإمتاع والمؤانسة، تحقيق:أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1953 ،ج1 ،ص79.

[2] – التوحيدي:الإمتاع والمؤانسة، ص86،87.

أخيها، بل من مواليها [1]...، و بناءا على هذا ردَّ الشُّعوبيون على هذا الامتهان مستخدمين في ذلك كل الوسائل كما رأينا آنفا.

وكان من الطبيعي إن يرد العرب على ادعاءات الشعوبيين موظفين في ذلك الحجة والبرهان، ويعد الجاحظ من الأوائل الذين تحدثوا عن الشعوبية ومزاعمها، في كتابه "البيان والتبيين" رادا على مطاعنها، ومن ذلك رده على هجوم الشعوبيين للعرب الخطباء واستعمالهم للعصا عند الخطابة حيث قال :"والدليل على أخد العصا مأخوذ من أصل كريم ومن معدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند، اتخاذ سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم العصا لخطبته وموعظته، ولمقاماته، وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب، فجعلها لتلك الخصال جامعة ،قال الله عز وجل وقوله الحق :"فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ..." و المنسأة هي العصا .

قال أبو عثمان: وإنما بذكر سليمان صلى الله عليه وسلم لأنه من أبناء العجم ،والشعوبية إليهم أميل، وعلى فضائلهم احرص، ولما أعطاهم الله أكثر وصفا وذكرا ... وقد جمع الله لموسى بن عمر أن في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام.. و ذكر العصا يجري..في معان كثيرة تقول العرب: "والعصا من العصية، والأفعى بنت الحيّة، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير "[2].

ولما افتخرت الشعوبية ببلاغة الشعوب الأخرى وخصوصا الفرس رد عليهم الجاحظ بقوله:"إن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب ،وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم ... وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة

[1] -بنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص361.

[2] -الجاحظ:البيان والتبيين، ج3، ص30،31.

وارتجال، وكأنه الهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة ... " [1]، وأضاف الجاحظ مفاخرا بفصاحة العرب فقال :" ونحن إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة في القصيد والارجاز والمنثور و الاسجاع ...فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، و السبك ،والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا ارفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير.."[2]،ليواصل الجاحظ رده على الشعوبية المفتخرة بكتب الفرس القديمة مشككا في صحة نسبتها إليهم فيقول :"ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس، أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة، إذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون، وأبي عبيد الله ... يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل، و يضعوا مثل تلك السير.."[3].

ولم تكن ردود الجاحظ على الشعوبية محصورة في كتابه البيان والتبيين، بل نجده يؤلف كتاب البخلاء والذي تحدث فيه عن البخل عند الفرس معتبرا بخلهم طبعا وحيلة يقول :"ولم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلقطها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب، قال :فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء ،فمن ثم عم جميع حيوانهم "[4]. ويورد الجاحظ قصة يرويها احمد بن رشيد إذ يقول هذا الأخير : "كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه، فقلت له :"...أطعمني من خبزكم ، قال :لا تريده، هو مر ،فقلت :فاسقني من مائكم ،فقال :لا تريده، هو مالح ،قلت :هات لي من كذا وكذا ،قال :لا تريده، هو كذا وكذا، إلى أن أعددت أصنافا كثيرة، كل ذلك يمنعنيه وببغضه إلى،

[1] -المصدر نفسه، ص28.

[2] -المصدر نفسه، ص29.

[3] - الجاحظ:البيان والتبيين، ج3، ص29.

[4] -الجاحظ، البخلاء، ص18.

فضحك أبوه وقال : ما ذنبنا ؟هذا من علمه ما تسمع ؟يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم "[1].

وقد جاء رد الجاحظ هذا عقب هجمات الشعوبية على صفة الكرم التي اشتهر بها العرب.

وعلى منوال الجاحظ سار تلميذه ابن قتيبة الذي انبرى للرد على الشعوبية من خلال كتابه "فضل العرب والتنبيه على علومها ".فعنوان الكتاب يعبر عن مضمونه ،فلفظ (فضل العرب)يدل على أن هناك صراعا قائما بين العرب والعجم حول الأفضلية، فالشعوبية تسعى لاستئصال الفضل عن العرب، وأما (التنبيه على علومها)فهو يدل على غزارة علوم العرب، وهو ما يثبت فضل العرب على غيرهم.

وكتاب ابن قتيبة هذا من أقوى الردود النثرية التي فندت مزاعم الشعوبيين من خلال رد مطاعنهم بالحجج والبراهين القائلة بفضل العرب، خاصة وان ابن قتيبة فارسي الأصل، وهذا ما زاد الكتاب أهمية وموضوعية فلئن احتج الشعوبيون عل الجاحظ مثلا بأن منطلقه في الرد عليهم هو أصله العربي، فإن ابن قتيبة الفارسي يدلي بدلوه في هذا الصراع، وينحاز للعرب لا تعصبا، ولكن بيانا للحقيقة .

وبالعودة إلى مضمون كتاب ابن قتيبة (فضل العرب والتنبيه على علومها)، نجده يفتتحه بقوله :"...و أعاذنا من فتنة العصبية ،وحمية الجاهلية، وتحامل الشعوبية ،فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة، وتلحق بها كل رذيلة "[2] لينطلق ابن قتيبة في تقديم الحجج والبراهين القائلـــة بفضل العرب، وذلك برواية القصص والأخبار حتى القديمـــة منها التي تعود إلى فترة الجاهليـــة، والتي تفند مزاعم الشعوبيين، وقد كان يروي القصص كما يرويها هؤلاء الشعوبيون ثم يحاول شرحها على عكس ما أرادوا، ومن القضايا التي أثارها ابن قتيبة قضية النسب التي عدد الشعوبيون

[1] -المصدر نفسه، ص 18.

[2] -ابن قتيبة :فضل العرب والتنبيه على علومها، ص33،36.

ذكرها لما انتقصوا من انساب العرب ،حيث سرد فضائل العرب ،وجعل القرب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)اشرف الأنساب [1]،ليدحض بعد ذلك ادعاءات الشعوبيين الذين طعنوا في مظاهر حياة العرب من خلال ذكرهم لشح عيشها، ورث لباس أهلها، وبساطة أكلها وشربها، إلى غير ذلك من المثالب نافيا عنهم كل ذلك [2]، وقد تحدث بالخصوص عن فضل قريش، ومزاياها ،وأنكر عنها كل ما ادعاه الشعوبيون، حجته في ذلك أحاديث النبي عن فضل قريش كقوله صلى الله عليه وسلم :"إن قريشا أهل صبر وأمانة، فمن بغاهم الغوائل كبة الله لوجهه يوم القيامة "[3]، ثم انتقل بعد ذلك لمدح أهل خرسان مركزا على دورهم في تمكين العباسيين من الخلافة، وعدَّ مناقبهم وجعلهم بعد العرب مباشرة في

الشرف، حين قال : " ثم يتلو العرب في شرف الطرفين أهل خرسان، أهل الدعوة ،وأنصار الدولة ..." [4]،لينهي الجزء الأول من كتابه بتفسير الآية 13 من الحجرات "يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير "،التي اعتمد عليها الشعوبيون لتأسيس حركتهم .

أما الجزء الثاني من كتاب ابن قتيبة فخصصه للرد على طعون الشعوبية السالبة للعرب والمجردة لها من كل العلوم والمعارف، حيث أبان ما للعرب من علوم، وحكم وشعر ،وكلام منثور، مبينا أن علوم العرب جنسان :الأولى علوم إسلامية كالفقه، والنحو... ، و هذا اختص به العرب وحدهم والثانية علوم مشتركة مع الأمم الأخرى. و بعد ما اثبت ابن قتيبة ما للعرب من علوم خاصة بها، أشار

[1] -المصدر نفسه، ص38.

[2] -المصدر نفسه، ص68،83.

[3] -المصدر نفسه، ص91.

[4] - ابن قتيبة :فضل العرب والتنبيه على علومها، ص94.

إلى أن علوم الفرس هي في حقيقتها علوم منقولة من أمم أخرى كالهند، والروم، وهذا ما يدحض أقاويل الشعوبية الناسبة للفرس الأسبقية في العلم والمعرفة [1].

ولم يكن الجاحظ وابن قتيبة لوحدهما في الرد على هجمات الشعوبية، بل تصدى لها الكثير من الأدباء ومنم التوحيدي الذي أشاد بالكرم العربي قائلا :"والعرب قد قدسها الله عن هذا الباب بأسره وجبلها على اشرف الأخلاق بقدرته، ولهذا تجد احدهم وهو في بت [2]حافيا حاسرا يذكر الكرم ويفتخر بالمحمدة "[3].

ولما وجه الشعوبيون سهامهم إلى المرأة العربية متحدثين عن احتقار العرب لها مستغلين الوأد لتبرير هجومهم، رد العرب على ذلك وبينوا على أن الوأد اقتصر على فخذين من قبيلتي ربيعة وتميم، وما حدث عندهما كان لأسباب اضطرارية ولفترة محدودة قبل ظهور الإسلام، فقد وقع لجماعة من قبيلة ربيعة أن "أغير عليهم فنهبت بنت الأمير فأستردها بعد الصلح "فخيرت بين أبيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده وأثرته على أبيها فغضب وسنّ لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم "[4]، وتكرَّرَ حادث مشابه لجماعة من قبيلة تميم، فاخذ هذا الفخذ بالوأد غيرة وغضبا [5]،أما غير ذلك من القبائل العربية فلم يقع عندها الوأد، بل على العكس كانت المرأة محل فخار، ومما يدلل على مكانة المرأة عند العرب أنهم كانوا لا يزوجنها من غير العرب حتى لو كان ملكا، فحينما خطب كسرى أخت النعمان أبى هذا الأخير تزويجها وقال لرسول كسرى يغضب (أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى إلى العربيات...أنت تعرف ما على العرب من تزويج العجم من الغضاضة والشناعة)[6].

---

(1) -المصدر نفسه، ص119،204.

(2) -البت :كساء غليظ من صوف أوبر.

(3) -التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص83.

(4) -الألوسي :محمود شكري، بلوغ الإرب في أحوال العرب، ج1، ص43.

(5) -المصدر نفسه، ص42،43.

(6) -المسعودي (أبو الحسن بن الحسين بن علي) :مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الرجلى القاهرة، ج2، ص25.

ولما أوغلت الشعوبية في المساس بسمعة المرأة العربية وتناست دعوات إشاعة النساء عند المزدكية والخرمية .

رد الكتاب العرب على هذه الأباطيل ومنهم القاضي أبو حامد المروروذي قائلا :"لو كانت الفضائل كلها بعقدها ونظمها ونثرها مجموعة للفرس ومصبوبة على رؤوسهم لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها وان يخرسوا عن دقها وجلها مع إباحتهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع ... ومردود عند كل ذي فطرة سليمة "[1].

وخلاصة القول في مطاعن الشعوبية والرد عليها، نقول أن الفكر الشعوبي وظف النثر واستخدمه وسيلة مع الوسائل الأخرى للإستنقاص من العرب، وإبراز مزايا العجم ،فخلق بهذا فكرا عربيا معاديا، لم يسلم هو الآخر من بعض مظاهر الشعوبية، ومع أن ردود العرب على الشعوبية تحمل محاولات إبراز فضل العرب، إلا أنها تسعى للم شمل الأمة ،الشيء الذي تهدف الشعوبية إلى نقضه .

[1] -التوحيدي:الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص90.

الفصـــــــل الثاني

الشعـــوبيـــة عنـــد ابن المقفـــع.

1) تعريف ابن المقفع.

2) مضمون أهم مدوّناته.

3) أثر الشعوبية في بعض مدوّنات ابن المقفع.

التعريف بإبن المقفع (106 هـ - 124 هـ)

1-مولده و نشأته:

وُلد عبد الله بن المقفع سنة 106 هـ- 724 م من أبوين فارسين بقرية تسمّى "جور" الفارسيّة، سمّاه أبوه "روزبه" ومعناه المبارك، نشأ و ترعرع على ديّانة والده " داذويه " الذي كان مجوسيّا، إنتقل والده إلى البصرة زمن الحجاج بن يوسف الثّقفي والذي ولاَّهُ خِراج فارس، فمدّ يده و احْتجن من مال السُّلطان، فضربه ضربا مبرحا حتى تفقَّعتْ يده، أي تشجنَّتْ و يبست، فسمّي من يومها " بالمقفع "، بينما يرى بعض الدَّارسين أن اسمه (المقفِّع) بكسر الفاء، وذلك لإشتغاله بعمل القفاع، وهي اشبه بالزّنابيل، ورجّح ابن خلكان السّبب الأول في التسمية[1] ويبدو أن "داذويه" ظل مجوسيا حتى وفاته، ولمّا سكن البصرة دخل في جوار آل الأهمَ من بني تميم فأصبح من مواليهم، وكانوا من أفصح العرب.

اهتم "داذويه" بتعليم ابنه روزبه "منذ أنْ كان في بلاد فارس "، و ازداد إقباله على العلم لما نزل البصرة و هي إحدى قطبي العلم يومها، والتي اشتهرت بسوق المربد جامعة الأُدباء و الشُّعراء، ليتعلم "روزبه " اللّغة العربية من معينها الصّافي على يد أبي الجاموس ثور بن يزيد[2]، والذي كان من اشهر معلّمي البصرة، فكان يجلس إليه و يتعلّم منه، حتى استقام لسانه فصار مُتْقِناً للعربية ،

و في الوقت الذي كان فيه ابن المقفع يدرس اللّغة العربية و آدابها، كانا والداه يحرصان على مخاطبته باللّغة الفارسية و ربطه بآدابها و معارفها، و هو ما جعله يظَلُّ و فيًّا لجنسه الفارسي، حيث كان المصدر الأساسي لمؤلّفاته كما سَنَرى لاحقاً .

[1] -فيكتور الفك:آثار بن المقفع اديب العقل،دار الكتاب اللبناني بيروت ط 1، 1986،ص5.

[2] -المرجع نفسه :ص 7.

و ابن المقفع من الّذين عايشوا الدّولتين الأُموية والعبّاسيّة، وعمل في دواوين ولاّة كل منهما، فكتب في العصر الأُموي لعمر بن هبيرة، ثم لإبنه يزيد بن عمر بن هبيرة، وكان ابن المقفع آنذاك شابا في العشرين من عمره، ثم كتب لِدَاوُود بن عمر بن هبيرة بعد مقتل يزيد، و استمرَّ في عمله مع داوُود حتىَّ آخر أيام حُكْمه، حيث قُتِل وقت إعلان الدّولة العباسيّة سنة 132 هـ.

و لا شكّ أنّ مُعايشة ابن المقفع للأمويّين و تفضيلهم للجنس العربي و حقدهم على الأعاجم مهَّد الطّريق لظهور البوادر الأولى للشُّعوبيَّة فيه، ممّا جعله يُبادر إلى الإتّصال برجال الدّولة العبّاسيّة شأنه في ذلك شأن الموالي من الفرس، فكتب لـ (عيسى بن على بن العباس)،الّذي أَسْلم على يديه فتسمَّى بـ: عبد الله، و تكنىَّ بأبي محمد، و يُرْوى أنّه حين أراد أن يُعلِن إسلامه، جاء إلى عيسى و قال له :قد دخل الاسلام قلبي، و أُريد أن أَسْلم على يدك، فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحْضر من القوّاد ووجوه النّاس، فإذا كان الغد أُحضر، ثم جيء بطعام عيسى عشيّة ذلك اليوم، فجلس ابن المقفع يأكل و يزمزم على عادة الماجوس، فقال له عيسى :أَتُزَمْزِمُ و أنت على عزم الإسلام ؟،فقال :"أكره أن أَبِيتَ على غير دين، فلمّا أصبح أسْلم على يده، ثم كتب لسليمان بن علي لما كان واليا على البصرة " ما بين عامي 133 هـ –139 هـ[1].

2–مقتل ابن المقفع :

لقد اختلف المؤرّخون في سبب مقتل ابن المقفع، فمردّه عند البعض يعود إلى زندقته، وعند البعض الآخر مردّه إلى آرائه و انتقاداته لنظام الحكم آنذاك، وإلى كِتاب الآمان الذي كتبه لعبد الله بن علي لمّا ثار على الخليفة المنصور و فشل ،فطلبه المنصور لكن سليمان بن على والي البصرة التمس الشّفاعة لأخيه عبد الله، فعفى عنه المنصور و أَمَّنَهُ، فطلب من ابن المقفغ أن يكتب أَمَاناً لعبد الله يُوقّعه المنصور، ففعل ذلك ابن المقفع إلاَّ أنّه بالغ في الاحتياط و التَّضْيِيق حتىّ لا يترك للمنصور في الأمان منفذا يستغلُّه للعُدول عن رأيه، فقد ضنّ ابن المقفع أنّ إنتقاء العبارات بدقّة ستحْمي من الغدر فاخطأ، و كان الثّمن حياته وحياة من كتب له، لِذَى فقد كان كتاب الأمان هذا أحد أسباب مقتل ابن المقفع، و قد جاء فيه :((و متى غدر أمير المؤمنين بِعمِّه عبد الله بن علي فَنِساؤه طوالق،

[1] –ابن المقفع:كليلة و دمنة،تحقيق و تنسيق الشيخ انياس خليل زكريا،دار الاندلس،1996،ص16.

ودوابه حبس، و عبيده أحرا، و المسلمون في حل من بيعته))[1]. فغضب المنصور حين قرأ الأمان، و سأل عن كاتِبِه، فَقِيل له :ابن المقفع، فقال :أما أحد يكفينيه ؟،ثم كتب إلى سفيان بن معاوية والي البصرة أنذاك، وصادف أنَّ سفيان كان حاقدا على ابن المقفع لإستخفافه به، وسخريته منـه، فاستغلَّ الفرصة، فأرسل في طلبه، و لمّا حضر قيَّده، و أمر بتنور، فأسْجر، ثم أمر بإبن المقفع و أخذ يقطعه عضوا عضوا، فيرمي به في التنور و ذلك سنة 142 هـ ، و كانت كلماته الأخيرة مخاطبا سفيان بن معاوية: ((و الله انك لتقتلني)) فتقتل بقتلي الف نفس، و لو قتل مائة مثلك لما وفوا بواحد ثم أنشد :

إذا ما مات مثلي مات شخص يموت بِمَوْته خلْق كثير

و أنت تموت وحْدك ليْس يدْري بِمَوْتك لا الصغير و لا الكبير[2].

و هكذا انتهت حياة ابن المقفع و سنُّه لا يتجاوز السّادسة و الثلاثين، و على الرّغم من صغر سنّه إلاَّ أنّه ترك مؤلّفات قيّمة ذلّت على سِعّة عقله و براعة عبقريته و ذكائه حتى قيل فيه :"لن يكون بعد الصّحابة أذكى من الخليل بن احمد و لا أجمع، ولم يكن في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع[3]".

فابن المقفع أديب مترجم لغوي فيلسوف، وحسبنا أنْ نعرف مكانته العلميّة بما رُوِي عنه "اجتمع الخليل بن أحمد الفراهيدي ذات يوم و عبد الله ابن المقفع يتحدّثان إلى الغداة، فلمّا تفرّقا قيل للخليل :كيف رأيت ابن المقفع ؟،قال :رأيتُ رجُلا علْمه أكْثر من عقْله، و قيل لإبن المقفع :كيف رأيت الخليل ؟،قال :رأيت رجُلا عقْله أكْثر من علْمه[4] ".

ورغم اجماع الباحثين و الدّارسين على مكانة ابن المقفع العلميّة، إلاَّ أنَّ أراءهم تناقضت حوله، فمنهم من جعله زنديقا ملحدا و شعوبيا متعصّبا، فهُو ما أراد بترجماته إلاَّ التَّفاخر بفارسيّته ، ومنهم من رأى فيه الرّجل المصلح النّاصح، لهذا ترجم هذه الآثار ليأخذ بها الحكام و المحكومين .

---

[1] -الجهيشاري:الوزراء و الكتاب،ص 103.

[2] -عبد اللطيف حمزة: ابن المقفع، دار الفكر العربي، ط3، د،ت، ص59.

[3] -فكتور الفك:بن المقفع اديب العقل،ص7.

[4] -عبد اللطيف حمزة:ابن المقفع،ص64.

3-آثاره :

لقد ترك ابن المقفع تراثا متميّزا من التّرجمات و المؤلّفات و الّتي أسهمت في إثــراء الأدب العربي، و تختلف أثاره فبعضها مترجم، و البعض الآخر مِمَّا ترجمه وزاد عليه، وبعضها من تأليفه، وكلها نسجها بأسلوب سلس و لغة صافية، و قد استقى معارفه من حضارات متعددة: فارسية وهندية و يونانية ...،الأمر الّذي جعل أثاره تتنوّع فمنها ما هو في الأدب و علم الإجتماع والفلسفة و المنطق و التّاريخ و الحكم و الأمثال ...، يذكر جورجي زيدان[1] عن مؤلفات ابن المقفع ،أنّها بلغت خمسة عشرة كتابا، و التي منها "رسالة الصّحابة " و تُعد مؤلّفا خالصا له، أمَّا باقي الكتب الأخرى فهي مترجمة، ففي الحكمة[2] ترجم كتاب "كليلة و دمنة " وكتاب "مزدك"، وفي التَّاريخ[3] نقل ابن المقفع كتاب "خداينامه" وكتاب "التَّاج في سيرة أنوشروان".

أمَّا في مجال الأدب فترجم كتاب "أيين نامه " و ا"الأدب الكبير " و"الأدب الصغير".

و أمّا في مجال الفلسفة فلإبن المقفع كتب :"ماني" و"ابن ديصان " والملاحظ أن الباحثين والدَّارسين اختلفوا حول مؤلّفات ابن المقفع فذكرو له كُتُبًا و رسائل، لم يوجد لها أثر و خلطوا بين بعض كتبه كالأدب الكبير و الدُّرّة اليتيمة، و من الكتب التي أجمع الدَّارسون على نسبتها لإبن المقفع " كليلة ودمنة "و "رسالة الصَّحابة " و"الأدب الكبير" و"الأدب الصّغير"، "الدّرة اليتيمة " و كتاب "مزدك" و كتاب "التّاج في سيرة ابي شروان"، كتاب "خداينامه" ..

أخيرا يمكن القول أن محتوى مؤلّفات ابن المقفع تمثّلت في الأدب و الإجتماع والسّياسة بحيث مارس النقد الاجتماعي و السّياسي غير المباشر خاصة في كتابه "كليلة ودمنة".

---

(1) -جورجي زيدان:تاريخ التمدن الاسلامي،دار مكتبة الحياة،لبنان ج3، ص494.

(2) -احمد علبي :ابن المقفع الكاتب و المترجم والمصلح،دار الفارابي 2002،ص109.

(3) -الجاحظ:الحيوان،ص 76.

كليلة ودمنة:

يُعدُّ كتاب كليلة ودمنة من أشهر الكتب التي لقَتْ اهتماما من قبل القُرّاء والباحثين، وهو كتاب حكايات قصيرة على ألسنة الحيوانات والطّير لها مغزى إرشادي.

كتاب كليلة ودمنة نقله ابن المقفع عن الفارسيّة، و كان قد نُقل إليها عن الهنديّة.

يرجع أهل الإختصاص في مجال التّراث تاريخ كتاب كليلة ودمنة إلى أصول هنديّة وبالتّحديد في القرن الرّابع الميلادي، وقد كُتب في البداية باللّغة السّنسكريتيّة(لغة الهند القديمة)، وتدور أحداث الكتاب الذي يحتوي على خمسة عشر(15) فصل أطْلق عليهم الكاتب أسماء حيوانات، ويَحْكي الكتاب عن حاكم ظالم لشعبه يُدعى "دبشليم"، يتوجّه إليه الفيلسوف (بَيْدبا) لِيمُدَّ له بعض النّصائح ليكون حاكما عادلا، و لكنّه يحْكُم عليه بالسِّجن، وبعد فترة يَستدعي الحاكم الفيلسوف ليسمع منه النّصائح، و يَعِدُهُ بتنفيذ كلامه و يفكّ أَسره و يحوّله إلى وزير له، ممّا دفع الفيلسوف إلى تدوين هذه النَّصائح لتصبح مرجعا للحُكَّام.

و على الرّغم من قول المؤرِّخين إنّ الكتاب كُتبَ باللُّغة السَّنسكريتيّة، إلاَّ أنّ النّسخة الوحيدة التي وُجِدتْ هي النّسخة الّتي كتبها عبد الله ابن المقفع باللّغة العربية .

فصول كتاب كليلة ودمنة:

يحتوى كتاب كليلة ودمنة على خمسة عشر فصل و هم:

1-باب الأسد .

2-باب الثّور.

3-باب الفحص عن أمر دمنة.

4-باب الحمامة المطوّقة .

5-باب البوم و الغربان .

6-باب القرد و الغيلم .

7-باب النّاسك وابن عرس.

8-باب الجرذ والسّنور.

9-باب ابن الملك والطّائر فنزة.

10-باب الأسد و الشّغير النّاسك و هو ابن آوى .

11-باب ايلاذ و بلاذ وإيراخ .

12-باب اللُّبؤة و الأسوار و الشغب.

13-باب النّاسك والضّيف.

14-باب السّائح والصّائغ.

15-باب ابن الملك و أصحابه[1].

اكتسبتْ النّسخة العربية من كليلة ودمنة أهميّة عالمية بعد فقد الأصل الهندي و اختفاء التّرجمة الفارسية ...و كأنّما حَملتْ النّسخة العربية مسؤوليّة الحفاظ على هذا الكتاب و تقديمه للقُرَّاء ومُتذوِّقي الفن القَصصي، و علماء الأخلاق و السّياسة عبر العصور[2] .

وما يميّز الكتاب عن غيره أنّه وُضِع لمستويات ثلاثة ...فالبُسطاء و هُواة التّسلية يجدون فيه الجانب التّرفيهي.

أمّا الحُكماء فيختارونه لحكمته ...ليستخْلصوا منه دوافع السّلوك وأسرار النّفس، وآداب الحياة بين طوائف الشّعب المختلفة، بينما المستوى الثّالث وهم المتعلّمون، فإنهم يجدون فيه المعلومات الكثيرة إضافة إلى رونقة لغته و أسلوب بلاغته .

إن معظم شخصيات قصص كليلة ودمنة عبارة عن حيونات بريّة، فالأسد هو الملك، وخادمه ثور اسمه "شتربة"، وكليلة و دمنة هما اثنان من حيوان ابن آوى .

---

[1] -عبد الله ابن المقفع :كليلة ودمنة،تحقيق عبد الوهاب عزام و طه حسين ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة،القاهرة.دط،دت.

[2] -رابط الكتروني:toufoula-mourahka.blogspot.com/2015/02blog-post63

و قد ضمّ الكتاب تعاليم أخلاقية موجّهة إلى رجال الحكم و أفراد المجتمع، و قد اعتمد ابن المقفع أسلوب السّهل الممتنع في كتابه واتّخذ الحيوان بديلا عن الإنسان، فقامت على الإيحاء بأسلوب رمزي مبطّن بحيث لا يُثير غضب الحاكم المستبد، و قد تُرجِم الكتاب إلى عدَّة لغات، وهو يُدرَّسُ حتّى اليوم في كثير من جامعات العالم .

نقل ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة على اللّغة الفهلوية، وإن كان "دينس رس" يرى أنّه أخذه عن السّريانية[1]،و هناك من يرى أن الفرس أخذوه عن السّريانية[2].

و الكتاب –كما هو معروف –هندي الأصل عُثِر على أصول قصصه في كتب الهند القديمة، مثل :"بانشتانترا" و "مهابهاراتا" و "فشنوسارنا" و غيرها .أمّا موسى سليمان فيرى أنّ الأصل الهندي القديم للحكايات فُقِدَ، وجُمِعتْ طائفة منها في (بنج تنترا) و (هينشوبادشا)، ويضيف بعضهم (مهابهاراتا) [3].

يمكننا الاستنتاج أنّ ابن المقفع ترجم الكتاب بتصرّف، وأضاف إليه الكثير من القصص الّتي استمدّها من مطالعاته في كتب مختلفة، و قد أضاف مقدّمة الكتاب و باب برزويه ليكون مدْخلا لقصصه[4].

نخلص إلى القول إنّ كتاب ابن المقفع، و إنْ لم يكن جديدا في مادّته من الأمثال، إلاّ أنّه كان جديدا في أسلوبه و توظيفه المثل في فعل قصصي ذي أهداف عظيمة و أفكار عميقة و رؤية واعية ، غير أنّ أبرز ما يميز هذا الكتاب هو ذلك الإنعطاف الأساسي في القصِّ العربي بحيث، فَتح أُفق السّرد وطوَّر فيه لوْنا سَيَمُسُّ أغلب التُّراث القَصصي العربي في العصور اللاّحقة، وهو القصّة الإطارية التي تتفرع إلى قصص داخلية فُسيفسائيّة ترسم لوحة متكاملة ،ستقوم على حامل فنّي هو الرّاوي

---

(1) –حمزة عبد المطلب :ابن المقفع،دار الفكر العرب،ص190 ،191.

(2) –المرجع نفسه :ص 187 ، 189.

(3) –موسى سلمان :الادب القصصي عند العرب،ص41.

(4) –يرجع احمد امين أن باب برزويه من زيادات الفرس،أما زيادات ابن المقفع فهي عرض للكتاب و للفحص عن امر دمنة والناسك و الضيف و البطة و مالك الحزين،و بعضهم يرى مقدمة الكتاب لابن المقفع أيضا ينظر ضحي الاسلام ج1،ص 68،216.

والمروي له، وهما عنصران فنّيّان اِفتراضيان يصوغان فعل القص، و ستتحكّم هذه الثُّنائية في تفصيلات الحكاية العربيّة طويلا[1] .

كذلك يمكن القول إنّ كتاب كليلة ودمنة أَصَّلَ الفن القَصصي الرّسمي، لأنّه كُتِب بِلُغة أدبيّة راقية، و بِحِكمة عميقة، وهو ما باعدَ الهُوّة بينه وبين القص الشّعبي الّذي أخذ ينْحو منْحى آخر بتأثير عوامل البيئة الإجتماعية الّتي ستزداد تعقيدا يوما بعد يوم، وهو في نهاية الأمر يُعبِّر عن التَّمازج الحضاري الّذي أشار إليه أحمد أمين، اجتمعت فيه حكمة الهند وسيّاسة الفُرس وبلاغة العرب[2].

[1] -ركان الصفدي:الفن القصصي في النثر العربي،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،وزارة الثقافة،دمشق 2011م ص75.

[2] -المرجع نفسه،ص76.

((ليس المقصود بالأدب عند ابن المقفع ما تضمّن علوم العرب و فنون قولها، أو حفظ أشعار العرب و أخبارها، و الأخذ من كل فن طرب كما قال صاحب المقدمة، فالأدب عند ابن المقفع يدل على ما يجب التّحلي به من الأخلاق الكريمة و الفضائل المحمودة، وعلى النّسق الذي يجب مراعاته في المعاملات مع الغير))[1]، وبالتّالي فإن الأدب بهذا المعنى له صبغة تعليمية بعيدة كل البعد عما هو فنّي وابداعي، وأسلوب الكتابة عند ابن المقفع هو السّهل الممتنع،حيث ينتقي ألفاظا سهلة فصيحة قويّة المدلول وفي أرفع درجات البلاغة، وكان يقول للمتكلّف في الكتابة:أيّاك والتّتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة، فإن ذلك العي الأكبر...

((وابن المقفع يذكر كل فنون الكلام ويطلب فيها الإيجاز والتّركيز الدّقيق، ويلتفت إلى خطب المحافل والصّلح ويطلب فيها الإطناب في غير خطر ولا إملال، ويضع قاعدة مهمّة أن يكون في صدر الكلام ما يدلّ على غرضه، وهو ما سمّاه البلاغيون، فيما بعد، باسم براعة الاستهلال، ويلاحظ ملاحظة تامة أن لكل من الإيجاز والإطناب في الكلام مقامه، وأنه ينبغي دائما أن يستوفى الكلام حقوقه من النّصاعة والبلاغة والبيان))[2].

[1] – رابط الكتروني:https://www.maghress.com/pnnpress/6361

[2] –شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الأول،ص 447.

الأدب الكبير:

سُمِّي بالكبير لا لكبر حجمه،وإنّما لأنه خاطب به السّلطان والخاصّة والمراد بالأدب هو أدب النّفس، حيث يبحث هذا الكتاب في السّلطان وآدابه،وفي الصّداقة ومعاملة الأصدقاء وآدابهم، ويقدّم بعض الحكم والنّصائح لطلاّب العلم والأدب، فتميّز بأسلوبه الجميل وتوجيهه الحسن، وبه موضوعان رئيسيّان، أوّلهما :عن"السّلطان" أي الإمارة وما يجب أن يصاحبها من أخلاق وآداب،وثانيهما:"الأصدقاء"وما تقوم عليه الصّحبة من اللّطف وحسن المعاشرة ،وقد جاء الكتاب في عصر ازدهرت فيه الكتابة النّثرية(العصر العباسي)؛ إذ يُعتبر عصر إزدهار النّثر العربي.

ويُقرّ ابن المقفع أنه أخذ كتابة هذا من أقوال المتقدّمين، وقدّم له بتوطئة((في فضل الأقدمين على العلم وشروط درسه والغرض من هذا الكتاب)) وقسّمه إلى مبحثين:الأوّل في السّلطان ومصاحبته وفي هذا المبحث بابان: الأول السّلطان،والثّاني في صحبة السّلطان، أمّا المبحث الثّاني فقد خصّه بالأصدقاء وحسن اختيار الصّديق.

القسم الأول:

1-آداب السّلطان:

يقول ابن المقفع ناصحا السلطان:

((عوّد نفسك الصّبر على من خالفك من ذوي النّصيحة،والتجرّع لمرارة قولهم وعدلهم،ولا تسهلنّ سبيل ذلك إلا لأهل العقل والسنّ والمروءة، لئلاّ ينتشر من ذلك،ما يجترئ به سفيه، أو يستخفّ به شانئ...لا تتركنّ مباشرة جسيم أمرك، فيعود شأنك صغيرا، و لا تلزمنّ نفسك مباشرة الصّغير، فيصير الكبير ضائع... و اعلم أن رأيك لا يتّسع لكل شيء ففرّغه للمهم، وأن مالك لا يغني النّاس كلّهم فأختص به ذوي الحقوق، وأن كرامتك لا تطيق العامّة، فتوخّى بها أهل الفضائل، وأنّ ليلك و نهارك لا يستوعبان حاجتك و إن دأبت فيهما، وأنه ليس لك إلى آذائها سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه من الدّعة، فأحسن قسمتها بين دعّتك و عملك))[1].لينتقل ابن المقفع إلى بيان أصناف الملوك فيقول:

((و اعلم أن المِلكَ ثلاثة : مِلك دين ،و مِلك حزم ،ومِلك هوى فأمّا مِلك الدّين فإنّه إذا أقام للرّعية دينهم –و كان دينهم هو الّذي يعطيهم الّذي لهم و يلحق بهم الّذي عليهم- أرضاهم ذلك ،و أنزل السّاخط منهم منزلة الرّاضي في الاقرار و التّسليم.

و أمّا مِلك الحزم فإنّه يقوم به الأمر و لا يسلم من الطّعن والتّسخّط،ولن يضُرّ طعن الضّعيف مع حزم القويّ .

و أمّا مِلك الهوى فلعِب ساعة و دمار دهر))[2].

---

[1] – ابن المقفع:الادب الكبير،تحقيق الاستاذ أحمد زكي باشا،مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية،ط1،1912،ص 15.

[2] – المصدر نفسه: ص 18،19.

و يسترسل ابن المقفع في مثل هذه الوصايا للوالي، و يتحدّث عن صحبة السّلطان وواجباتها و آدابها و كذلك صحبة الوُلّاة والحُكّام، ثم ينتقل إلى الصّديق والصّداقة، ويصوّر الحالات التي ينبغي أن يتّصف بها في رأيه الصّديق الحق حيث يرى من واجب الصّديق على الصّديق أن يبذل له ماله ودمه و أن يلقاه بالتّواضع و الحياء و أن يمدّ له يد العون في الشّدّة[1] .و مما جاء في أبواب الولاية قوله : "لا يلومن الوالي على الزّلة من ليس بمتّهم عنده في الحرص على رضاه إلاّ لوم أدب و تقويم، ولا يعدلنّ بالمجتهد في رضاه البصير بما يأتي أحد، فإنّهما إذا اجتمع في الوزير و الصّاحب، نام الوالي واستراح، و جُلبت إليه حاجاته و إن هدأ عنها، و عُمل له فيها بهمّة و إن غفل عنهاّ"[2].

2–صحبة السّلطان:

و بعد أن أنهى ابن المقفع حديثه عن السلطان و مصاحبته، إنتقل إلى الحديث عن صحبة السلطان، حيث يراها من الأمور التي يبتلى بها الناس، ومن ثم أكثر النصائح و التوجيهات لصاحب السلطان حتى يسلم من أداه، إذ يقول:

((إنِ ابتُليتَ بصحبة السّلطان، فعليك بطول المواضبة في غير معتبة، و لا يحدثنّ لك الاستئناس به غفلة ولا تهاونا،إذا رأيت السّلطان يجعلك أخاً فاجعله أباً، ثم إن زادك فزده،

لا تخبرن الوالي أنّ لك له عليه حقا، و أنّك تعتدّ عليه ببلاء و إن استطعت أن لا ينسى حقّك وبلاءك فافعل، وليكن ما يذكّر به من ذلك تجديدكَ له النّصيحة والاجتهاد و أن لا يزال ينظر منك إلى آخر يذكّره أوّل بلائك ،و اعلم أن السّلطان إذا انقطع عنه الآخر، نسي الأوّل))[3].

---

[1] – شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الأول، ص 514.

[2] – ابن المقفع: الأدب الكبير، ص 27،26 .

[3] – المصدر نفسه، ص 41،40.

كما يقول ابن المقفع في صاحب السلطان :

((ليعلم الوالي أنّك لا تستنكف عن شيء من خدمته، ولا تدع مع ذلك أن تقدّم إليه القول – على بعض حالات رضاه وطيب نفسه– في الإستعفاء من الأعمال التي هي أهل أن يكرهها ذو الدّين وذو العقل وذوالعرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب وأشباه ذلك)) .

ومما بدل فيه ابن المقفع النصح لصاحب السلطان النهي عن الكذب عليه، والإعتدال في السؤال و الجواب إذ يقول :((لاتتهاوننّ بإرسال الكذبة، عند الوالي أو غيره في الهزل، فإنها تسرع في إبطال الحق، ورد الصّدق مما تأتي به...إذا سأل الوالي غيرك فلا تكوننّ أنت المجيب عنه،فإن استلابك الكلام خفّة بك، استخفاف منك بالمسؤول وبالسّائل، وما أنت قائل إن قال لك السّائل:ما أيّاك سألت! أو قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها دونك فأجب))![1] .

و مما حذر منه ابن المقفع الشكوى من السلطان لوزرائه إذ يقول:((لا تشكونّ إلى وزراء السُّلطان ودخلائه ما اطّلعت عليه من رأي تكرهه له، فإنك لا تزيد على أن تفطّنهم لهواه أو تقرّبهم منه وتغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه))[2].

القسم الثاني:

في معاملة الأصدقاء:

إنّ باب معاملة الصّديق، اِنفرد فيه ابن المقفع بفطنته النّافذة، وخبرته العميقة بالحياة والنّاس، وامتلاء وجدانه بصنوفه من التّجارب جعلته أكثر وعيا وبصيرة، وقُدرة على التّحليل والإستبصار والتّأمّل،حيث يقول:((أُبذل لِصديقِك دَمَكَ ومالَك،ولِمعْرفتِك رَفْدك ومَحْضرك،وللعامَّة بِشْرك وتحنُّنكَ، ولعدُوِّك عدْلَك وإنصافكَ، واضْنِن على كلّ أحد بِدِينِكَ وعِرْضِك، إلاّ أن تُضطرّ إلى

[1] – ابن المقفع:الادب الكبير، ص 45.

[2] – المصدر نفسه ،ص 55.

بذل العِرض لوال أو والد، فأمّا للوَلَدِ فمن سِواه فلا...وإن سمِعت من صاحبِك كلاما أو رأيت منه رأْيا يُعجبك،فلا تنتحلْه تزيُّنا به عند النّاس،واكتف من التزيّن بأن تجْتني الصّواب إذا سمِعته، وتنسُبه إلى صاحبه، واعلم أنّ انتحالك ذلك مسْخطة لصاحبِك، وأنّ فيه مع ذلك عارا أو سُخْفا، فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأي الرّجل وتتكلّم بكلامه، وهو يسمع، جمعْت مع الظُّلم قلّة الحياء وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس، ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انْتُحِلَ من كلامك ورأيك،وتنسُبَ إليه رأْيه وكلامَه، وتُزيِّنه مع ذلك ماستطعْتَ[1].

ويوردُ في نفس الباب قائلا:((اُخْزُنْ عقلك وكلامك، إلاّ عند إصابة الموضع، فإنّه ليس في كلّ حين يحسُنُ كلّ صواب، وإنّما تمام إصابة الرّأي والقول بإصابة موضعه، فإن أخطأَك ذلك، أدخلْت المِحْنة على عقلك وقولك،حتى تأتي به في موضعه،وإنْ أتيْت به في غير موضعه،أتيْت به وهو لا بَهاءَ ولا طلاوةَ لهُ.

إن آثرْتَ أن تفاخر أحدا أو تمازح مَن تستأْنس إليه في لهو الحديث، فاجعل غاية ذلك الجدّ،ولا تعْتد أن تتكلّم فيه بما كان هزلا، فإذا بلغ الجدّ أو قاربه فدعْه، ولا تخلطنّ بالجدِّ هزلاً، ولا بالهزل جدّاً، فإنك إن خلطْتَ بالجدّ هزلا سخّفْته، وإن خلطت بالهزل جدا كدرته .

غير أني قد علمت موطنا واحدا، إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأي وظهرت على الأقران، وذلك أن يتوّردك متورد بالسفه والغضب وسوء اللفظ، فتجيبه إجابة الهازل المداعب، برحب من الدّعّة، و طلاقة من الوجه، وثبات من المنطق[2].

بعد هذه النصائح التي وجه فيها ابن المقفع الصديق إلى تخير القول و تحكيم العقل نراه ينتقل إلى الصاحب فينهاه عن كراهية مجالسة صاحبه لأعدائه، ففي تلك المجالسة فوائد يعددها في قوله :

"إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك، فإنما هو أحد رجلين :إن كان رجلا من إخوان الثقة، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك، لشر يكفه عنك، وعورة يسترها منك، وغائبة

[1] – ابن المقفع:الأدب الكبير، ص 62،64.

[2] – المصدر نفسه، ص 62.

يطلع عليها لك، فأما صديقك فما أغناك أن يحضره ذو ثقتك، و إن كان رجلا من غير خاصة إخوانك، فبأي حق تقطعه عن الناس و تكلفه أن لا يصاحب و لا يجالس إلا من تهوى، تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب، و طب نفسك عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول و الرأي مداراة، لئلا يظنّ أصحابك أنّ دأبك التطاول عليهم، و ليعرف إخوانك، و العامة لمن إستطعت، أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلي أن تقول ما لا تفعل، فإن فضل القول على الفعل عار و هجنة، وفضل الفعل على القول زينة".

احفظ قول الحكيم الذي قال :

"لتكن غايتك فيما بينك و بين عدوك العدل، و فيما بينك و بين صديقك الرّضا، وذلك أن العدو خصم تضربه بالحجة، وتغلبه بالحكمة، وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض، فإنما حكمك رضاه"[1].

و الحق أن ابن المقفع كان من البلاغة في الذروة، ويكفي أنه إستطاع أن ينقل أهم ما عرفه من تراث عقلي وتاريخي وفلسفي وأدبي إلى العربية مع الاحتفاظ لها بكيانها ومشخصاتها، ومن غير شك عان في سبيل ذلك كثيرا، فقد خرج بما كان يترجم و ينقل عن نطاق المعاني في العربية السابقة إلى معان جديدة لم يسبق للغتنا أن أدتها، وهي معان كانت تزدحم عليه وتتكاثر وتتنوع، ومع ذلك لم يستعص عليه التعبير عنها، فقد ظلت العربية عنده مختفظة بأصولها الأولى و مقوماتها الأساسية مع السلاسة و الطلاوة[2].

[1] – ابن المقفع: الأدب الكبير، ص 72.

[2] – شوقي ضيف:الفن ومذاهيه في النشر العربي،دار المعارف،ط 10،القاهرة، ص 142.

الأدب الصغير:

كان ابن المقفع في الأدب الصغير ناقلا ايضا ، فقد قال :

((وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية ابصارها، وإحياء للتفكير وإقامة للتدبير، ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله))[1].

الأدب الصغير رسالة قيمة في علم تهديب الأخلاق كتبت بأسلوب جميل ساحر، أسلوب فيه حلاوة تتجلى فيه الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والمعاني التي إذا طرقت الصدور عمرتها، وهي ممتلئة بأصدق الأنباء عن الروح الإنسانية التي تبرهن على مقدرة ابن المقفع العجيبة في تصوير طبائع الناس إذ يقول:

((على العاقل أن لا يحزن على شئ فاته من الدنيا أو تولى وأن ينزل ما أصاب من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب، و ينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة ما لم يطلب... وعلى العاقل أن يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقا ولكن ضن أنه على اليقين ... وعلى العاقل أن أشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب أن ينظر أهواها عنده فيحذره من نصب نفسه للناس إماما في الدين فعليه أن يبدأ في تعليم نفسه وتقويمها في السيرة والرأي واللفظ))[2] .

ومن قوله أيضا : ((على العاقل أن لا يستصغر شيئا من الخطأ في الرأي والزلل في العلم والاغفال في الأمور، إن من استصغر الصغير أوشك أن يجمع إليه صغيرا وصغيرا ، فإذا الصغير كبير، وإنما هي (ثلم) حلل ليشملها العجز والتضييع، فإذا لم تسد أوشكت أن تنفجر بما لايطاق.

---

[1] – ابن المقفع :الآثار الكاملة ،تحقيق الدكتور عمر الطباع،شركة الأرقم بني الأرقم للطباعة و النشر،بيروت،لبنان،ط1 ،1997،ص 26.

[2] – ابن المقفع :الادب الصغير،تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا،مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية،ط1،1911،ص 20.

كلام اللبيب وإن كان نزرا أدب عظيم، ومقارفة (ارتكاب) المأثم وان كان محتقرا مصيبة جليلة، لا يمنعنك صغر شأن امرئ من اجتباء ما رأيت من رأيه صوابا، واصطفاء ما رأيت من أخلاقه كريما، فإن اللؤلؤ الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذي استخرجها، اعدل السير ان تقيس الناس بنفسك، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك، حق على العاقل أن يتخذ مرآتين فينظر من أحداهما في مساوئ نفسه فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها، وينظر من الأخرى في محاسن الناس فيحكيهم بها ويأخذ ما استطاع منها. عمل الرجل فيما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى أنه العفاف... من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه فإنه من خفى عيبه عليه خفيت عليه محاسن غيره، ومن خفى عليه نفسه ومحاسن غيره فلن يقلع عن عيبه الذي لا يعرف، ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصرها أبدا. لا يتم حسن الكلام الا بحسن العمل كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا هو لم يتداوَ به لم يغنه علمه.

والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد الذي يهاب و إن كان عقيرا، والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس و إن طوق وخلخل))[1].

و أغلب وصايا الأدب الصغير على هذا النحو من القصر .

ويضيف قائلا:

وسمعت العلماء قالوا:((لا عقل كالتّدبير، ولا ورع كالكفِّ، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنىً كالرّضى، وأحق ما صُبر عليه ما لا سبيل إلى تغييره، وأفضل البرّ الرّحمة، ورأس المودة الإسترسال، ورأس العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون، وطيب النّفس حسن الإنصراف عمّا لا سبيل إليه، وليس من الدّنيا سُرور يعدلُ صُحبة الإخوان، ولا فيها غمّ يعدلُ غمّ فقدهم))[2].

يُسند ابن المقفع أقوال العلماء التي وَصَفَت العقل بأنّه رأس الحكمة، وهو أساس التّدبير وبه تُنار العقول، ولا زينة تُعَلّق على البشر كالخُلق اَلحَسَن، ولا قناعة كالرّضى ،والرّحمة أفضل البر، والمحبّة رأس

[1] –شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الأول،ص 512.

[2] –ابن المقفع،الأدب الصغير،ص 73.

الإسترسال، و لا يتّسع العقل إلا بالمعرفة، وطيب النّفس ترك، مالا سبيل إليه، ولا شيء يفرح الإنسان كصُحبة الإخوان، ولا شيء يحزنه كفقدانهم، و كل هذا يُعدُّ وصفا مباشرا لصاحب العقل، الذي يرتقي بعقله إلا الدّرجات العُلى.

يقول ابن المقفع:((ليحسُن تعاهُدك نفسك بما تكون به للخير أهلا، فإنّك إذا فعلتَ ذلك، أتاك الخير يطلبك، كما يطلب الماء السيل إلى الحدُورة، لايرى العاقل معروفا صنعه، وإن كان كثيرا، ولو خاطر بنفسه وعرضها في وجوه المعروف، لم ير ذلك عيبا، بل يعلم أنّما أخطر الفاني بالباقي، واشترى العظيم بالصّغير، ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه، وإفضاء كلّ واحد منهما إلى صاحبه ببثّه[1].

يحثُّ ابن المقفع العُقَّال أن يكون صنيعهم خدمة لإخوانهم وإن كان كثيرا، ومن أجل المعروف يسعى المرء إلى إسعاد غيره رغم وجود بعض الحواجز التي تعترض صانع المعروف، وما يزيد في متانة العلاقة لقاء الأخ بأخيه.

ليواصل ابن المقفع بيان حقيقة الغنى والنعيم والفرق بين المغنم والمغرم قائلا:

((لا تَعُدّ غنيا من لم يشارك في ماله، ولا تعد نعيما ما كان فيه تتغيص وسوء ثناء، ولا تعد الغنم غنما إذا ساق غرما، ولا الغرم غرما إذا ساق غنما، ولا تعتد من الحياة ما كان في فراق الأحبة))[2].

لقد صدق القائل الذي يقول : لايزال الرجل مستمرا ما لم يعتبر، فإذا عثر مرة واحدة في أرض الخبار، لج به العثار، وإن مشى في جدد، لأن هذا الانسان موكل به البلاء، فلا يزال في تصرف وفي تقلب لا يدوم له شيء ولا يثبت معه، كما لا يدوم لطالع النجوم طلوعه ولا لإفلها أفوله، ولكنها في تقلب وتعاقب :

---

[1] – ابن المقفع: الأدب الصغير،ص 76.

[2] –المصدر نفسه،ص 76.

فلا يزال الطالع يكون آفلا، والآفل طالعا[1].

إن هذه النصوص تتحدث عن الدّين ورأي العقل دون أن تكشف عن أي دين هذا، وصحيح أن ابن المقفع لا يكاد يستشهد بآية أوحديث، إن حكم الفرس وأمثالهم وخلاصة تفكير حكمائهم تغلب على كتاباته، لكونه كان فارسيا، فكل تراثه الفكري والأدبي يعبر عن فارسيته وعن دين الماجوسية التي ورثه عن أبيه وظلّ معه في أغلب سنوات عمره، ورغم إسلامه إلا أنّ ذلك لم ينعكس في كتاباته لا سيّما الأدب الصغير الذي يظهر فيه أثر العقل .

[1] – المصدر نفسه ، ص 78.

رسالة الصحابة :

ليس المقصود صحابة رسول الله (ص) و لكنهم حاشية الخليفة العباسية يضم هذا الكتاب بين طياته رسالة الصحابة الابن المقفع، و التي اعتبرها النقاد الأولى من نوعها، من حيث أنها مبادرة فردية، قام بها إبن المقفع بدافع شخصي، و فيها يتحدث عن نقطتين الأولى هي موضوع الجند (الجيش) الذي حرصت السلطات في المحافظة عليه و على فعالية تسليحه.

أما النقطة الثانية التي تحدث عنها في رسالته فهي ضرورة اهتمام الخليفة بأهل العراق و أهل البصرة و الكوفة كما تناول عددا من المسائل الأخرى، فيها ما يتعلق بمعاملة أهل الشام و أهل الحجاز، ثم يعالج مسألة جباية...الخراج .

و مما جاء في رسالة الصحابة وصف ابن المقفع لحكام بني أمية بولاة الشر و هو وصف لا شك يثلج صدر هذا الخليفة العباسي إذ يقول مخاطبا إياه:

((أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأتم عليه النعمة وألبسة المعافاة والرحمة فإن أمير المؤمنين حفظة الله يجمع مع علمه المسألة و الإستماع كما كان ولاة الشر يجمعون مع جهلهم العجب و الإستغناء ويستوثق لنفسية بالحجة و يتخذها على رعيته في ما يلطف له من الفحص عن أمورهم كما كان أولئك يكتفون بالدّعة ويرضون بدحوض الحجة و إنقطاع العذر في الإمتناع أن يجترئ عليهم أحد برأي أو خبر مع تسليط الديان .

وقد عصم الله أمير المؤمنين حين أهلك عدوه وشفى غليله ومكن له في الأرض وأتاه ملكه وخزائنها من أن يشغل نفسه بالتمنع، وأن يرضى ممن آوى بالمتاع به و قضاء حاجة النفس منه، واكرام الله أمير المؤمنين بإهانة ذلك و استصغاره إياه و ذلك من أبين علامات السعادة))[1].

[1] – ابن المقفع،آثار ابن المقفع،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1، 1989، ص 309 .

و يظهر من خلال ما تقدم من حديث ابن المقفع أنه يمهد أمير المؤمنين لما سيقوله من حديث بعد ذلك و بخاصة لما دعاه على الثقة في جند خرسان معددا خصالهم المميزة التي أهمها الوفاء والسمع و الطاعة إذ يقول:

"ومن الأمور التي يذكر بها أمير المؤمنين أمتع الله به، أمر هذا الجند من أهل خرسان فإنهم جند لم يدرك مثلهم في الإسلام و فيهم منعة بها يتم فضلهم إن شاء الله . أما هم فأهل صبر بالطاعة وفضل عند الناس و عفاف نفوس و فروج و كف عن الفساد و ذل للولاة فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم.

و أما ما يحتاجون فيه إلى التأديب من ذلك تقويم أيديهم و رأيهم و كلامهم فإن في، ذلك القوم أخلاطا من رأس مفرط غال وتابع متحير شاك. و من كان إنما يصول علي الناس يقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول و السيرة . فهو كراكب الأسد الذي يوجل من رآه والراكب أشد و جلا .

فلو أن أمير المؤمنين كتب لهم أمانا معروفا بليغا و جيزا محيطا بكل شيء يجب أن يعملوا فيه أو يكفوا عنه بالغا في الحجة قاصرا من الغلو يحفظه رؤسائهم حتي يقودوا به دهاءهم و يتعهدوا به منهم من لا يؤبه له من عرض الناس لكان ذلك إن شاء الله لرأيهم صلاحا و على من سواهم حجة و عند الله عذرا.

فإن كثيرا من المتكلمين من قوّاد أمير المؤمنين اليوم إنما عامة كلامهم فيما يأمر الآمر و يرغم الراغم و أن أمير المؤمنين لو أمر الجبال أن تسير سارت و لو أمر أن تستدير القبلة بالصلاة فعل ذلك، و هذا كلام قلما يرتضيه، من كان مخالفا، و قلّما يرد في سمع السامع إلا أحدث في قلبه ريبة و شكا، والذي يقول أهل القصد من المسلمين هو أقوى للأمر وأعز للسلطان وأقمع للمخالف وأرضى للموافق و أثبت العذر عند الله عز وجل"[1].

[1] – ابن المقفع ،آثار ابن المقفع،ص 311.

و مما تضمنته رسالة الصحابة توصية ابن المقفع إلى أمير المؤمنين بخصوص اهل العراق قائلا:

((إن في أهل العراق يا أمير المؤمنين من الفقه و العفاف و الألباب و الألسنة شيئا لا يكاد يشك أنه ليس في جميع من سواهم من أهل القبلة مثله و لا مثل نصفه .. فلو أراد أمير المؤمنين أن يكتفي بهم في جميع ما يلتمس له بأهل الطبقة من الناس رجونا أن يكون ذلك فيهم موجودا.

و قد أزرى بأهل العراق في تلك الطبقة، إن ولاة العراق فيما مضى كانوا أشرار الولاة و إن أعوانهم من أهل أمصارهم كانوا كذالك .... فحمل جميع أهل العراق على ما ظهر من أولئك الفسول و تعلق بذلك أعداؤهم من أهل الشام فنعوه عليهم، ثم كانت هذه الدولة فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والعمال إلا بالأقرب فا لأقرب مما دنا منهم أو وجدوه بسبيل شئ من الأمر))[1].

و لم يغفل ابن المقفع الحديث عن اهل الشام لأمير المؤمنين فهو يبين له كيفية التعامل معهم إذ يقول :

((ومما يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام .... فإنهم أشد الناس مؤونة و أخوفهم عداوة وليس يؤاخذهم أمير المؤمنين بالعداوة و لا يطمع منهم في الإستجماع على الموذة فمن الرأي في أمرهم أن يختص أمير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحا، أو يعرف منه نصيحة أو وفاء ... فإن أولئك لا يلبثون أن ينفصلوا عن أصحابهم في الرأي والهوى ويدخلون فيها ما حملوا عليه من أمرهم فقد رأينا أشباه أولئك من أهل العراق الذين استدخلهم أهل الشام ولكن أخذ في أمر أهل الشام على القصاص...وحرموا كما كانوا يحرمون الناس وجعل فيئهم إلى غيرهم كما كان في ء غيرهم إليهم، ونحّوا عن المنابر والمجالس والأعمال كما كانوا ينحون عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع .و منعت منهم المرافق كما كانوا يمنعون الناس أن ينالوا معهم أكلة من الطعام الذي يصنعه أمراؤهم للعامة ... فإن رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة و ما أشبهها فلم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط كان العدل أن يقتصر بهم على فيئهم فيجعل ما خرج من كور

[1] – ابن المقفع:آثار ابن المقفع،ص 316،315 .

الشام فضلا عن النفقات، و ما خرج عن مصر فضلا عن حقوق أهل المدينة و مكة... بأن يجعل أمير المؤمنين ديوان مقاتليهم ديوانهم، أو يزيد أو ينقص غير أنه يأخذ أهل القوة و العناء بخفة المؤونة و العفة في الطاعة، ولا يفضل أحدا منهم على أحد إلا على خاصة معلومة، و يكون الديوان كالغرض المستأنف، و يأمر لكل جند من جنود الشام بعدة من العيالة يقترعون عليها و يسوي بينهم ... و مما يذكر به أمير المؤمنين أمر الأرض و الخراج فإن أجسم ذلك و أعظمه خطرا و أشده مؤونة و أقربه من الضياع ما بين سهله و جبله ليس لها تفسير على و القرى، فليس للعمال أمر ينتهون إليه ولا يحاسبون عليه، ويحول بينهم وبين الحكم علي أهل الأرض بعدما يتأنقون لها في العمارة ويرجون لها فضل ما تعمل أيديهم[1].

و في الختام قد يكون ابن المقفع تأثر في هذه الرسالة ببعض أنظمة الحكم الساسانية و بما سمعه عن قانون جو ستنيان الروماني و لكن من المحقق أنه صدر فيها عن فطنة وقوة ملاحظة لأحوال الدولة الإسلامية في عصره وما لاحظه من شؤون السياسة التي استوحاها مما قرأه عند الأوائل، بحيث أستنبط كثيرا من الآراء والأفكار وخاصة ما يتصل بالإصلاح الإجتماعي، و السياسي، ولعل من الإصلاح الذي كان ينشده للدولة العباسية هو الذي دفعه إلى ترجمة القصص[2].

[1] – ابن المقفع،آثار ابن المقفع، 321 .

[2] – شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي 1، ص 520 .

كانت النزعة الشعوبية ظاهرة في نفوس كثيرة من الأدباء الأعاجم، مختلطة بدمائهم، ومنهم ابن المقفع تعصّبا لدولته الكسروية.

كان ابن المقفع فارسي الأصل مجوسي الدين، ملما بالثقافات الأعجمية ،متأدبا بآدابها، مسخرا ملكته البيانية لمهاجمة العرب، والنيل من الإسلام .

يذكر أنه أعلن إسلامه في آخر حياته على يد عيسى بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور.

زعم الأستاذ كرد علي أن ابن المقفع كان صادق الإيمان، مخلصا في إسلامه، في حين أجمع المؤورخون على زندقة ابن المقفع و اتفقوا على اتهامه في دينه .

فالمهدي يقول :(ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع)

وأبو الفرج الأصبهاني يشير إلى أن الجاحظ قد نظمه في سمط المتهمين في دينهم مع ابن الحباب ومطيع بن اياس وحماد عجرد وإلى مثل ذلك ذهب المسعودي الذي ذكر أن المهدي طارد الملحدين وقتل الذاهبين عن الدين كإبن المقفع[1].

وطه حسين يقول :((وابن المقفع أسلم في أيام العباسيين ولكن إسلامه لم يكن فيما يظهر صحيحا و لا خالصا لله، فقد كتب في الزندقة كتبا كثيرة، اضطرت بعض المسلمين إلى الرد عليها في أيام المأمون))[2].

وأحمد أمين يقول : ((تطلق الزندقة على اتباع دين المجوس وخاصة دين ماني، مع التظاهر بالإسلام كالذي اتهم به بشار وابن المقفع)) .

فقد كتب في الزندقة كتبا كثيرة، اضطرت بعض المسلمين إلى الرّد عليها في أيام المأمون[3].

---

[1]- نعمة رحيم العزاوي:مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي و تاريخه،مطبعة اشبيلية الحديثة،دط،بغداد،العراق سنة 1982،ص 60.

[2] - المرجع نفسه، ص 61.

[3] - المرجع نفسه،ص 61.

والدكتور بديع شريف يرجح أنه ((كان زنديقا لا يؤمن بالله، ولا يقيم وزنا لدين محمد بن عبد الله)) .

ومن الدلائل التي تؤيد فساد عقيدة ابن المقفع الدينية ، وتشير بوضوح إلى تعلقه بالمجوسية ، والولاء لها، تَمَثُّلَهُ بقول الأحوص حين مر بعد اسلامه ببيت من بيوت النار قائلا :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبك الفؤاد موكل

أني لأمنحك الصدود وأنني قسما إليك مع الصدود لأميل

وهذا دليل على كذبه في إسلامه ونزعته إلى المجوسية دين آبائه و أجداده.

و ما يكشف عن عدم قبوله الإسلام بنفس مطمئنة ما ورد أنه جاء إلى عيسى بن علي وقال له دخل الإسلام في قلبي وأريد أن أسلم على يدك ، فقال له عيسى :ليكن ذلك غدا بمحضر من القواد ووجوه الناس ولما حضر الطعام جلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس، فقال له عيسى: أتزمزم وأنت على عزم الإسلام ؟ فقال :أكره أن أبيت ليلة على غير دين[1].

أما مذهب ابن المقفع السياسي، فقد كان يتظاهر بالولاء لبنى العباس، ولكنه كان شعوبي الرأي يعمل في صمت ويسعى في الخفاء، وقد تجلّت شعوبيته بمظاهر عدة منها:

-أنه حاول نشر العادات والتقاليد الفارسية عن طريق ما ترجم إلى العربية من كتب تحتوي على تلك العادات والتقاليد

- ومن مظاهر شعوبيته استخفافه بالدين الإسلامي وتجرؤه على معارضة القرآن الكريم فقد ذكر القاسم في كتابه ((الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع))الذي نشره المستشرق الإيطالي جودي، أنّ ابن المقفع عارض القرآن الكريم كما فعل مسيلمة من قبل .

[1] - نعمة رحيم العزاوي:مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي و تاريخه ،ص 61.

– ومن دلائل شعوبيته تعصبة على العرب، وتجريدهم من كل فضل أو مزية .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: ((والعرب في رأيه قوم لا يستحقون هذا السلطان، وليسوا أهلا كالفرس لهذه العظمة و المجد. كان شديد السخرية من العرب والتنقص لهم ،وهو لذلك يعد رأسا من رؤوس الشعوبية وأصلا من أصول هذه الحركة التي كان من أغراضها النيل من العرب لأنهم عرب والإشادة بالفرس لأنهم فرس))[1].

وقد يقال أن لإبن المقفع أقوال أشاد فيها بالعرب ، و عبقريتهم في الحكم، ونبوغهم في الأدب، و الحق أن هذه الأقوال إما منحولة وضعت على ابن المقفع وضعا ودست في آثاره دسا، وأما أنه قالها تملّقا لبني العباس ، وزلفى إليهم.

ومن الباحثين من قال أن شعوبيه ابن المقفع شعوبية عملية بمعنى أنه كان يتظاهر بالولاء للعرب، ولكنه كان يعمل على تقويض دولتهم ، و التطويح بحضارتهم عن طريق ما أشاعه من التقاليد الفارسية في الحكم والحياة، واحياء التراث الفارسي القديم ليصرف الناشئة عن حضارتهم العربية، ويغريهم بالتزود من تراث غيرهم[2].

وسنتعرض بشيء من التفصيل إلى أثر الشعوبية عند ابن المقفع في بعض مدوّناته التي اخترنا منها :

1–كليلة ودمنة

2– الأدب الكبير

3– رسالة الصحابة

4– كتاب مزدك

5– كتاب تاج

[1] – نعمة رحيم العزاوي:مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي و تاريخه ،ص 62.

[2] – المرجع نفسه،ص 62.

أثر الشعوبية في كتاب كليلة ودمنة:

يروي المؤرخون أن علاقة الزندقة بالشعوبية ابتدأت بترجمة عبد الله ابن المقفع "كتاب كليلة ودمنة "الذي نقله إلى العربية ويذهب فيه أن للفرس كتبا تحمل الحكمة والفكر والأدب ما يضاهي حكم القرآن الكريم وآياته، ويستدلون على اعتناقه الزندقة بمتابعة كتب أخرى في الزندقة من الفارسية إلى العربية حتى قيل : ما وجد كتاب للزندقة إلا وأصله ابن المقفع، وبها يعللون حرصه على نشر الأداب الفارسية القديمة ويرجعون ذلك إلى الهدف الأساسي، وهو إحياء للعلوم الفارسية القديمة وآدابها[1].

ففي ترجمة كليلة ودمنة نجد فكر ابن المقفع مستمدا من العقل أكثر من الدين، حيث نجد كثيرا من الجمل التي توضح احتكامه للعقل، مثل قوله: ((يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه))، وقوله ((إن الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض إلا بعد النظر إليه والجس لعروقه))، وقوله :((لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس، ولكنه جدير بأنه يبلوهم))[2].

و لم يقم فكره على الدين إلا في بعض المواقف كقوله:

((ليس مما خلقه الله في الدنيا شيء هو أفضل من الإنسان)) ،وقوله : ((لست أعمل لآخرتي عملا أفضل من أن أخلص هذا الرجل))، وقوله((إسقه من ماء هذا الشجر فيبرأ بإذنه الله))[3].

[1]-بشائر أمير عبد السادة:الشعوبية والزندقة،كلية التربية للعلوم الإنسانية،جامعة بابل،العراق،211،2010،ص113.

[2]-المرجع نفسه،ص113.

[3]-المرجع نفسه،ص113.

ولا يكاد ابن المقفع يتخلص من هذه الطريقة في كل ما يقدم من ترجمات ومؤلفات، فهذا الاسلوب الذي إمتاز به لم يعجب الجاحظ إذ يقول :

((ذكر أبو بكر الأصم ابن المقفع، فقال :ما رأيت شيئا إلا وقليله أخف من كثيره إلا العلم فإنه كلما كثر خف محمله ، ولقد رأيت عبد الله ابن المقفع في غزارة علمه وكثرة روايته كما قال الله عز وجل...كمثل الحمار يحمل أسفارا ... [1] وقد أوهنه علمه، وأذهله حلمه ،وأعمته حكمته، وحيرته بصيرته))[2].

حيث رأى أن علمه الغزير أوهنه وأذهب حلمه ، ونفاذ بصيرته حيره ،وقد يكون مرجع هذا الإتهام ما نسب لابن المقفع من زندقة .

يؤكد عبد الرحمان بدوي ((أن في كتب ابن المقفع استخفاف وعدم اكتراث بل بغض ممزوج بالشك نحو الإسلام وقلة احترام للقرآن ..(ويقول) وقد رأينا خلو كليلة ودمنة والأدب الكبير من كل عنصر للتدين الإسلامي والتقوى، ولم نجده يؤكد إلا مطالب الأخلاق والجماعة الإنسانية ..))[3].

ومن مظاهر شعوبية ابن المقفع التشكيك في الثقافة العربية الإسلامية في ترجمة كتب التراث الفارسي إلى العربية كي تكون أداة لمعارضة تلك الثقافة وقد لوحظ أن هذه الكتب تتصل بصميم الذات الفارسية كالآداب والتاريخ والتقاليد والمثل .

وإن مما يدل على أن الدافع المحرك لهؤلاء المترجمين للكتابة والترجمة هو الترويج للعقائد الفارسية القديمة ومعارضة الإسلام هو أن ابن المقفع حين قام بترجمة كتاب كليلة ودمنة، تصرف في ترجمته وأضاف إليه بابا (باب برزويه) للترويج للمانوية كما أوضح البيروني[4].

---

[1]-القرآن الكريم،الآية 5،سورة الجمعة.

[2]-الجاحظ:رسالة ذم اخلاق الكتاب،ط&،دار الكتب العلمية،بيروت،2001،ص146.

[3]-عبد الرحمن بدوي،منتاريخ الإلحاد في الإسلام،ص 54،55.

[4]-د. هاشم يحي الملاح: الحضارة الإسلامية و آفاق المستقبل ،دار الكتب العلمية،بيروت سنة 1971،ص 189.

و يشير المسعودي في حديثة عن إبن المقفع و إنتشار الزندقة فيقول : (.. ما نقله عبد الله بن المقفع وغيره من الفارسية والفهلوية إلى العربية تأييدا لمذاهب المنانية و الديصانية و المرقونية فكثر بذلك الزنادقة)[1].

وفي كتاب كليلة ودمنة في باب برزويه الذي يزعم الباحثون أنه من إضافة ابن المقفع، ليزعزع به ضعيفي العقائد في الدين على حد تشخيص محمد بن أحمد البيروني (362-440هـ/970-1048 م، نستطيع معرفة اخلاقه وعقيدته، فأخلاقه مستمدة من العقل وليس من الدين، ومع ذلك يحب الفضيلة لأنها فضيلة ويكره الرذيلة لأنها رذيلة ففي قوله على لسان برزويه((..فلما خفت من التردد والتحول رأيت ألّا أتعرّض لما أتخوف منه المكروه، وأن أقتصر على عمل تشهد النفس أنه يوافق كل الأديان، فكففت يدي عن القتل والضرب وطرحت نفسي عن المكروه والغضب والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة)).

أما عقيدته فنلمح ظلّها فيما أثاره الكاتب من شكوك دينية كثيرة، حاول اخفاءها بعبارات إسلامية لإرضاء الرّأي العام، وهذا قوله على لسان برزويه((فلما ذهبت التمس العذر لنفسي في لزوم دين الآباء والأجداد، لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة، بل وجدتها تريد أن تتفرّغ للبحث عن الأديان والمساءلة عنها، و النظر فيها...الخ))[2].

فهذه بعض ملامح شعوبية ابن المقفع في كتابه "كليلة ودمنة" و رغم القالب القصصي الجميل الذي ورد فيه هذا الكتاب إلا أن المتفحص في ثناياه يمكنه تلمس الكثير من أفكار الشعوبية فيه.

[1]-المسعودي:مروج الذهب،ج 8، ص292 ،293.

[2]-المصدر نفسه ،ص 294.

أثر الشعوبية في رسالة الصحابة

ليس المقصود برسالة الصحابة صحابة رسول الله –كما هو مألوف– و لكن االمقصود به صحابة الخلفاء والولاة الذين يأخذون موضع الثقة والاستشارة ،ويمكن اعتبارها كتقرير في نقد نظام الحكم و طريقة اصلاحه .

بدأ ابن المقفع الرسالة بمدح أمير المؤمنين واصفا أياه بانه يرغب في السؤال و يستمع لنصيحة الناصح، وهذا ما يشجع صاحب الرأي أن يدلي برأيه .ثم ذكر موضع الشكوى قبل أن يتولى أبو جعفر المنصور، فوال لا يهتم بالإصلاح، و إن اهتم به فليس له رأي يهديه، أو له رأي و لكن ليس له عزم يمضي به ما يبتغيه، وأعوان ليسوا على الخير بأعوان، ولهم من المكانة و النفوذ ما يمنع الخليفة من اقصائهم و النيل منهم، وأمة إن أخذت بالشدة حميت، وإن أخدت باللين طغت، وأبان أن أمير المؤمنين وفّقه الله لمداواة هذه العيوب، واقتلاع هذه الشرور، ثم بدأ بتقريره الذي وضعة[1].

فاستهل تقريره بشرح حال "الجند" وجزء كبيرا من هذا التقرير دار حول هذا الموضوع .إذ قال أن عماد الجند هم الجند الخرسانية الذين هم من الفرس، وكان ابن المقفع فارسيا فمدح جند خراسان بأنه لم ير مثلهم في الإسلام، دليل على النزعة الشعوبية في نفسية ابن المقفع الذي دعا إلى وضع دستور ينظم عمل الجند كي لا تسود الفوضى، هذا ظاهريا كان مبرر ابن المقفع في دعوته للإهتمام بالجند مادحا جند خرسان خاصة وهو مدح ينمّ عن شعوبية واضحة، ليواصل حديثه إلى الخليفة قائلا :"ووجد في القواد من يقول: إن أمير المؤمنين لو أمر أن تستدير القبلة بالصلاة لسمعنا وأطعنا .

و قد ساعد هذا القول ابن المقفع إلى بحث أوامر أمير المؤمنين وما يطاع منها وما لا يطاع، وذكر العبارة المشهورة :"لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " و قال : إن قوما فسرّوا هذا المبدأ تفسيرا معوجا و الذي رآه ابن المقفع : أن الخليفة يطاع فيما لا يطاع فيه غيره، و دليل ذلك أن هناك فرائض و حدودا بينّها الله، وفي هذا لا يطاع أمير المؤمنين لو أمر أمرا يخالفها .أما الأشياء التي لم يأت فيها نص تركت لعقل الناس واجتهادهم، ثم تحدث عن أهل العراق والقضاء وأهل الشام والصحابة والخراج في جزيرة العرب .

[1]–أحمد أمين :ضحى الاسلام،ج1، ،ص 223، 224.

و للدكتور عدنان ابراهيم رأي في هذه الرسالة التي أهداها ابن المقفع إلى المنصور و يصبّ فيها جام غضبه على الفقهاء وعلى العقلية الفقهية التي تعلّم الناس، لا طاعة في المعصية إنما الطاعة بالمعروف قال هذا كلام غير صحيح لأن عوام الناس من أمرك بطاعة فأنت تطيعه، و إذا أمرك بمعصية فأنت تعصيه، إذا في هذه الحالة أنت سوّيت بين الخليفة و عامة الناس، و هذا خطأ في رأيه لأن الخليفة يطاع في المطلق سواء كان في الحق أو الباطل[1].

و من هنا نلمس الروح الفارسية الشيعية لأن الكاتب وقف موقف المصلح الذي لا تفوته شاردة ولا واردة ،المصلح الذي يعلّل أسباب الدّاء و يقدم الدواء، وذلك كلّه في لين وتحفظ لأن السلطة مريضة ولا بدّ لها من انتفاضة، لكن لم يصرّح بها الكاتب، ثم يصل إلى موضوع يستقيه من فكرة الشيعة ويقدمه في لباقة عجيبة .قائلا :فالناس في حاجة إلى من يهديهم سوىّ السبيل، إلى إمام ينير.

إذ يقول ابن المقفع :"و قد علمنا علما لا يخالطه شك أن عامة قط لم تصلح من قبل أنفسها، وأنها لم يأتها الصّلاح إلّا من قبل إمامها، و ذلك لأن عدد الناس في ضعفائهم و جهّالهم الذين لا يستغنون برأي أنفسهم، ولا يحملون العلم، ولا يتقدمون في الأمور، فإذا جعل الله فيهم خواص من أهل الدين والعقول، ينظرون إليهم ويسمعون منهم، واهتمت خواصهم بأمور عوامهم وأقبلوا عليها بجد ونصح ومثابرة وقوة، جعل الله ذلك صلاح لجماعتهم، و سببا لأهل الصلاح من خواصهم ...

و حاجة الخواص إلى الإمام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة إلى خواصهم وأعظم من ذلك، فبالإمام يصلح الله أمرهم، ويكبت أهل الطعن عليهم، ويجمع رأيهم وكلمتهم، ويبين لهم عند العامة منزلتهم، ويجعل لهم الحجة والأيد في المقال على من نكّب عن سبيل حقهم"[2].

و رغم صلاح هذه الآراء إلاّ أن أثر الشعوبية يظهر في أخذه بفكرة الإمامة كركيزة من ركائز المذهب الشيعي الذي يظهر في بلاد فارس نتيجة لأسباب عديدة منها:السياسية و العرقية ...

[1]- موقع يوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=dbibog71b8 .

[2]-حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي،دار الجيل،بيروت،لبنان، ط1، 1986،ص536.

ومما يلاحظ أيضا أن أدب ابن المقفع أعجمي الفكرة، وأعجمي النزعة، يكتب في العربية ويتجاهل ما فيها من آثا ، و يعتمد العقل دون الدين من غير تناقض[1].

و مما يدل على شعوبيته في رسالة الصحابة التي كان ظاهرها رغبة ابن المقفع في اصلاح المجتمع العباسي وتنبيه الخليفة إلى وجود اضطراب في أنظمة الدولة وقوانينها، إلا أنها كما قال طه حسين كانت تحريضا على الثورة على الخليفة ودليل ذلك أن المنصور غضب منها ولم يستجب لها .

ويقول باحث آخر: أن هذه الرسالة كانت طعنة شعوبية مسدّدة إلى قلب الخلافة العباسية، وإن كان ظاهرها فيه الرحمة والعبرة ببواطن الأمور[2].

[1]-حنا الفاخوري :الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص536

[2]- نعمة رحيم العزاوي،مقالات في آثر الشعوبية في الأدب العربي و تاريخه،ص 62.

أثر الشعوبية في كتاب الأدب الكبير:

تمثل أغلب أعمال ابن المقفع أعمال أديب حكيم استقى حكمته من تراث أدبي عريق نقله إلى العربية مستعينا بتجربته الحياتية[1].

و لا يوجد لهذه الأعمال أي صدى ديني فردي، ولكنها تطرح قضايا كبيرة بصورة غير مباشرة.

فكتابه " الأدب الكبير " يتضمن نقدا للزهد بوصفه ثمرة لإنقشاع أوهام العالم، وينادي بالمتعة الكاملة والمتوازنة بهذا العالم، حيث قيل عن ابن المقفع إنه " رجل نهضوي "، ويمكن مقارنته " برجل البلاط الذي تكلم عنه بالتازار غرثيان" ، (Baltasar Graciánورغم أنه ليس فيلسوفا فقد حضّر العقول لفهم عقلاني للأشياء. يظهر في هذا الكتاب موضوعان هامان:

1- التوجس من المعاصرين الذين يحركهم الهوى وحده، وتفضيل الأقدمين الذين يظهرون دائما أصحاب عدل، دون الإضطرار إلى اتباع تفاصيل معتقداتهم اتباعا أعمى، لأن المعيار الذي ترجح كفته هو المعيار الأخلاقي .

2- التوجس أيضا من أولئك الذين يطلبون منا أن نصدق أقوالهم ولا يستطيعون تبرير إيمانهم تبريرا عقلانيا، وبشكل ضمني يقيم ابن المقفع تعارضا بين السلطة الدينية، العشوائية، وبين السلطة السياسية التي تكوّن سلطة لا تعارض إذا اعتمدت على الحكمة المتراكمة عبر القرون.

الكتاب عبارة عن مجموعة من النصائح قدمها لعاهل الإمبراطورية الإسلامية على الصعيد السياسي، ونلاحظ في هذا العمل أن الأسلوب أقل دقة وصرامة من بقية النصوص التي نسبت إلى ابن المقفع، فالخطاب ليس موجها إلى شخص ما بأسلوب واضح لتبليغه تجربة فردية أو مجموعة من المعطيات التربوية التقليدية، بل المقصود اسماع صوت الكتاب إلى سلطة كبيرة يصعب الوصول إليها إلاّ عبر مراسيم معينة تؤلف زخرفة الأدب الكبير جزءا منها (على منوال الأسلوب التعبيري لكتاب الدواوين).

[1]-دومينيك أورفوا: المفكرون الأحرار في الاسلام ،دار الساقي،بيروت ،لبنان،ط 1،2008،ص 41،ص 42.

يمكن قراءة هذا النص من وجهتي نُظر متناقضتين ،فقد نظر إليه بدلالـة التاريخ اللاحق للإسلام، ففي بداية العصر العباسي كان بوسع العالم الإسلامي أن يتطور بأوجه مختلفة، و يقترح ابن المقفع توحيد الفتاوي القضائية لمختلف المدارس الفقهية، بدفع من السلطة، ولو تحقق هذا الأمر سيفتح منظورا نحو علمنة الحضارة الإسلامية.

فأراء ابن المقفع هذه يستمدها من الحضارة الساسانية الفارسية التي يخضع الدين للسلطة السياسية وهذا مخالف للدين الإسلامي ولاشك ان هذه الآراء المنتصرة للنظرة الفارسية سمة من سمات الشعوبية في هذا الكتاب .

فابن المقفع ساير البيئة العباسية بجميع ألوانها المختلفة العربية والفارسية والهندية واليونانية وبفضل هذا التمازج الذي كان يمتلكه استطاع أن يكون أحسن ممثل لهذا التمازج، وارتقى إلى القمة التي كان يهدف إليها، حيث كان "يصر في كل عمل من أعماله عن مبدأ من المبادئ الأخلاقية التي يراها خليقة به وبأمثاله من فظلاء الناس وكان يصر في كل أفعاله عن فكرة هي من خلق نفسه ونتيجة من نتائج فلسفته، فكان عقله لا دينه- كائنا ما كان هذا الدين – هو الذي يهديه إلى الطريق التي يسلكها في معاملة الناس ومواجهة الأمور، وكانت رغبته في المثل العليا وتعلقه بها هي التي كانت تحمله على فعل الخير لأنه خير وتجنب الخبث لأنه خبث، فهو إذن ممن كانوا يعبدون الفضيلة"[1].

ومما سبق يمكن اكتشاف المقاصد الحقيقية لابن المقفع من خلال أدبه الكبير، حيث نتبع نسقا استنتاجيا للكشف عن الدلالة الخفية فالسياق هو مرآة للتحليل وأدراك المقاصد، ويقارن "ابن قيم" دلالة السياق بقصد المتكلم ومراده فيقول:

[1]- المرجع السابق،ص43.

" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ويواصل فيقول : فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته "[1].

ولو عدنا إلى فترة ابن المقفع نجد أن الأدب الكبير ألف في ظروف سياسية واجتماعية متدبدبة نستنتجها من كتابه ذاته، ومن سياق هذا الخطاب يمكن أن نصل إلى تأويلات متعددة تتعلق خاصة بالمقدمة التي وضعها ابن المقفع في كتابه.

فقد يكون ابن المقفع يمجد الأولين، فيذكر جميع محاسنهم لأنه يرى فيهم المثل الأعلى، أو أنه يرى في العصر الذي يعيش فيه تدهورا في الأمور كلها ، فيقول عن الأولين أنهم كانو أحسن عقولا وأعمارا وعلما وأخلاقا ودينا ...

كما يمكن تفسير هذه المقدمة بأن معاصرية لا استطاعة لهم في إضافة شيء بعد الذي وجدوه.

فابن المقفع فارسي شديد التمسك بفارسيته يريد أن يقلب الوضع العربي في السياسة والحكم والعادات ليقيم مكانه وضعا فارسيا وقد أنشأ عدة كتب في هذا الصدد، ورغم ذلك فإن الأدب الكبير إلى جانب الكتب الأخرى يعتبر ثروة عربيه يستمد منها القارئ المثل والحكمة والموعظة والأخلاق.

[1]–ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد،دط،المطبعة المنيرية،مصر،د،ت،ص 4.

أثر الشعوبية في كتاب مزدك :

روّج ابن المقفع لحضارته الفارسية بواسطة ترجمة النصوص الفارسية والهندية، التاريخية منها والوثائقية إلى جانب التعريف بالحضارات الشرقية، ولملامسة بعض الوقائع نتوقف عند(كتاب مزدك) المفقود، ولكن حسب فهرست ابن النديم يمكننا استخلاص أن الكتاب هو محض ترجمة لنصوص مزدك، وهو اصلاحي فارسي قتل عام 528 بعد الميلاد تقريبا[1]، فالمانوية تلغي كل إعتماد على الديانات سواءا كانت يهودية أو مسيحية او غيرها، وهو ما تجلى في آراء ابن المقفع الذي يبدو أنه تحرر من كل سلطة دينية، و كذلك كان الحال مع أخلاقه لأنه كان قريبا من المانوية التي تدعو إلى النزعة السلمية، ورفض سفك الدماء و الإمتناع عن أكل اللحم.

و بالعودة إلى كتاب مزدك نجد أن ابن المقفع يظهر مزدكيته من خلال الصيغ التعبيرية التي يستعملها ومن خلال مشابهة نهجه لنهج نصوص ساسانية عديدة لا نستطيع أن نتحدث عن مسار شخصي بقدر ما ينبغي أن نتكلم عن خيار إستراتيجي، أي خيار الشكل الأكثر معارضة للدين الرسمي كنقطة إرتكاز، وهنا نأخذ بعين الإعتبار عنصرين هامين هما:

1. **العنصر الأول** :هو المعنى الملتبس لمفهوم (أهل الكتاب)، أي مقولة التي تدل على المستفيدين من هامش تسامحي(أهل الذمة)التي تعني الحماية لا من الخارج بل من صرامة الشريعة الإسلامية التي تجبر غير المسلم على الإختيار بين إعتناق الدين الإسلامي أو البقاء ذميين أي مواطنين من الدرجة الثانية يحافظون على تنظيمهم وعلى قانون أحوالهم الشخصية، و يُضاف إليهم المزدكيون بسبب كتابهم المقدس (الأفيستا)، و على هذا ما كان لابن المقفع أن يصطدم بأي عقبة كبرى ليظهر مزدكتيته .وعلى العكس فإن المانويين ،ورغم إنتاجهم الكتابي لم يتمكنوا قط من أن يثبتوا أن لهم (كتابا) ولذلك حرموا من شتى أنواع التسامح، كما يمكن القول بأن الإضطهادات إستهدفتهم بشكل خاص، ومن كان يعلن منهم أنه ما نوي عرّض نفسه للخطر، وهذا لا يتناسب

[1]–دومينيك أورفوا: المفكرون الأحرار في الاسلام ،ص 32.

مع إعتدال النصوص الأخرى التي كتبها ابن المقفع، وبالمقابل كان أبرز فضائل المانوية يدل على منزع إستقلالي متطرف[1].

2-**العنصر الثاني** :قد تكون صرامة الإسلام تجاه المانوية ناجمة عن كون هده الأخيرة لعبت دورا مهما في المناطق الحدودية بين بلاد فارس وشبه الجزيرة العربية عند ظهور الدين الجديد، وكذلك في قلب العالم الإسلامي، ولاسيما في الكوفة، في بداية تشكل الحضارة الجديدة.

وبما أن شريعة (مزدك) مبنية على عنصرين هامين في الحياة البشرية :1عنصر المال و2عنصر المرأة، أما العنصر الأول وهو(المال) فهو قدر مشترك بين أتباع هذه الشريعة فلا يختص أي واحد منهم بأي شيء من المال، فكل الأتباع فيه شركاء، فلا يتميز واحد منهم بدار، أو ببستان، و هكذا فأين وجد الواحد من اتباعه دارا أو غيرها أخذها ودخلها وأستولى عليها، لأن شريعة مزدك تبيح له دلك .

وأما العنصر الثاني – في المزدكية – وهو (النساء) فقد أباحث شريعته لأتباعها جميع النساء ،فلا يختص رجل بإمرأة، ولا تختص إمرأة برجل معين، فكل المزدكيين شركاء في نسائهم.

هده خلاصة بشريعة (مزدك) المجوسي الذي كان يعيش في الربع الأخير من القرن الخامس وبداية القرن السادس المسيحي، أي قبل ولادة الرسول محمد (ص)[2].

وما دعانا للتعريف بشريعة (مزدك) هو التوضيح بأنها تتعارض مع الإسلام جملة وتفصيلا، ومع هذا روّج لها ابن المقفع بواسطة الترجمة من الفارسية إلى العربية وذلك ما يبرز شعوبيته الدينية أنتصارا لدين أجداده و أبائه.

[1]- عبد اللطيف بن علي السلطاني:المزدكية هي أصل الاشتراكية ،مطابع دار الكتاب،الدار البيضاء، المغرب،ط1،1974، ص 13.

[2]-المرجع نفسه ،ص13.

أثر الشعوبية في كتاب التاج:

بدل الكتاب و الأدباء من الشعوبيين، قصارى جهدهم في تشويه العرب و إبـراز فضائل الفرس، حيث إستخدموا كل الوسائل الممكنة، و من ذلك نسبت بعض الكتب الفارسية إلى أدباء مشهورين كما كان الحال مع كتاب التاج الذي نسب إل ى الجاحظ، و ذلك حتى يكتسب قيمة مضافة، وهو بمحتواه كتاب (ايين) له علاقة بالمراسيم الساسانية مع إضافات تتصل بالخلفاء الأمويين والعباسيين، هدفه أن يظهر هؤلاء تابعين ومقلّدين للملوك الفرس. وكيف نصدق أن الجاحظ الذي سعى جاهدا لرد الشعوبية أن يقوم بذلك ؟

ألم تكن نسبة الكتاب إليه فنًّا جديدا من فنون الشعوبية ؟

وحاول الكتاب أن يبينوا (كما ترى في كتاب التاج)أن الحضارات القديمة خاصة الساسانية أساس كل شئ، وأن الحضارة العربية الإسلامية سوى ناقلة عن تلك الحضارة وذهبوا إلى أبعد من ذلك فهذا ابن وحشية، وهو نبطي، يؤلف كتاب (الفلاحة النبطية) ليظهر رقي الزراعة عند النبط في القديم وليظهر أن أساس فن الزراعة يعود إليهم، وهم أصحاب فضل على العرب، وفي ثنايا كتاب التاج تجد تفصيلات عن أساليب الزراعة بعضها لا يبعد كثيرا عن السحر والطلاسم[1].

و حاول الكتاب بصور خاصة أن يحيوا المراسيم الفارسية والتقاليد الإدارية، وساعدهم في ذلك بعض وزراء الفرس كالفضل بن سهل. جاء في الجهشياري: " وكان ذو الرياستين (الفضل بن سهل) يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه إذا أراد الدخول إلى المأمون، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه، فإذا وقعت وضع الكرسي ونزل عنه فمشى وحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون، ثم يسلم ذو الرياستين ويعود ويقعد عليه، وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة .فإن وزيرا من وزرائها كان يحمل في مثل ذلك الكرسي ويقعد بين أيديها عليه "[2].

ولعل الجناحين يمثلان أجنحة اهورامزدا إله الخير عند الزردشتية.

عمل الكتاب على التأكيد من إرثهم الثقافي الفارسي في تكوينهم، لذلك أرادوا أن يوجهوا الناشئة إليه، وأن يصرفوا الأذهان عن الثقافة العربية الإسلامية.

---

[1]-،عبد العزيز الدوري:الجذور التاريخية للشعوبية ،ص 52.

[2]- المرجع نفسه ،ص 53.

ورد في كتاب البيان و التبيين : " قالوا (أي الشعوبية) ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب كاروند، ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة، فلينظر في سير الملوك . فهذه الفرس ورسائلها وخطبها، والفاظها و معانيها. و هذه يونان ورسائلها وخطبها، وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها و أسرارها، وسيرها وعللها . فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة .

فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني، وتخير الألفاظ ، وتمييز الأمور، أن يشيروا بالقنا والعصي، والقضبان والقسي . كلا ، ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم ، فحملتم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها في السفر، وحملتموها في المدر بفضل عادتكم لحملها في الوبر، وحملتموها في السلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب . ولطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل، جفا كلامكم، وغلظت مخارج أصواتكم، حتى كأنكم إذا كلمتم الجلساء إنما تخاطبون الصّمان، وإنما كان جلّ قتالكم بالعصى[1]، و لذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

لسنا فقائل بالعصـ ـى ولا نرامي بالحجارة

إلا علالة أو بـدا هـة قارح نهـد الجزاره

ويبين الجاحظ :(أن الناشئ من الشعوبيين ، متى وطئ مقعد الرئاسة، وصارت الدواة أمامه ، وروى لبزرجمهر أمثاله، و لأردشير عهده، ولعبد الحميد رسائله، ولابن المقفع أدبه، وصير كتاب مزدك معدن علمه، ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته، أنه الفاروق الأكبر في التدبير)[2].

ومن الأدلة على شعوبية الكتاب والأدباء الذين روّجوا لثقافة الفرس والإطاحة بثقافة العرب و حضارتهم، ((أنك لم تر كاتب منهم جعل القرآن سميره، ولا علمه تفسيره، و لا التفقه في الدين شعاره، و لا الحفظ للسنن و الآثار عماده)).[3]

[1]- الجاحظ:البيان و التبين،ج1 ،ص 14.

[2]- الجاحظ:رسائل الجاحظ،ج2، ص 191،192.

[3]- الجاحظ:ثلاث رسائل للجاحظ،رسالة في أخلاق دم الكتاب،ص91.

وفي الأخير يتضح لنا أن الشعوبية تجسدت معانيها في كتاب التاج المنسوب للجاحظ، ومن خلال ردوده على الشعوبيين نستنتج انكار أدباء الشعوبية فضل العرب على غيرهم.

خلاصة :

نستخلص مما سبق أن ابن المقفع يتميز في شعوبيته عن كثير من مشاهير الشعوبية، فهو شعوبي عملي يروّج لحضارته الفارسية دون تجريح مباشر للعرب، فبنظرة إلى مؤلفاته نجده يبرز الأسبقية الفارسية، و هو ما ترجمته كتبه المنقولة إلى العربية، و لاشك أن هذا النوع من الشعوبية الخفية أخطر من تلك الشعوبية التي أفصحت عن نفسها.

و رغم شعوبية ابن المقفع إلا أنه جلب للعرب أروع ما أنتجته الحضارة الفارسية قبل الإسلام والتي كان لها أثرها البالغ في تطور الأدب العباسي، فقد كان كاتبا متميزا بشهادة الكثير من الأدباء والنقاد من ذلك قول ابن سلّام :"سمعت مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل ابن أحمد الفراهيدي ولا أجمع ،ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع"[1].

[1]-أحمد أمين :ضحى الإسلام،ص216.

خاتمـــــة

خاتمـــــــة

سعينا جاهدين في هذه الدراسة المتواضعة بما توفر لنا من جهد وتفرّغ ومراجع أن نميط اللّثام عن قضية من أهم القضايا التي كانت من أبرز سمات العصر العباسي، ساهمت إلى حد كبير في إثراء الأدب العربي بشكل لم يكن مألوفا من قبل، إذ تناول البحث الصّراع الشعوبي العربي معالجا الموضوع بروح علمية وموضوعية، عارضا للحركة الشعوبية بداية بمفهومها وأسباب ظهورها وأهدافها وتأثيرات ذلك على النثر العباسي خاصة عند ابن المقفع الذي تتبعنا شعوبيته من خلال كتبه لنخلص في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن جمعها في :

1. هذا البحث من الدارسات الأكاديمية القليلة التي تناولت الشعوبية في النثر
2. تبيّن مما تقدّم أن الدين الإسلامي حرص على المساواة بين الناس، وأن ظهور هذا الفكر في المجتمع الإسلامي مرفوض.
3. ظهور الخلافات بين المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فتح على الأمة أبواب الفتن والصراعات ، فالصراع حول مسألة الخلافة جلب إليه العنصر العجمي الذي كانت له مطالبه الخاصة ، فانكشف أن الحركة الشعوبية انفصالية
4. بيّنت الدراسة سبل الشعوبية وأثرها في تشويه كل ما يمتّ للعرب والإسلام بصلة.
5. كشف البحث أهداف الشعوبية الخفية وهويتها العرقية.
6. أظهرت الدراسة أن الشعوبية هي الجذور الأولى المولّدة لفكر الزندقة.
7. اتّضح من خلال البحث أن كبار الشعوبيين في العصر العباسي كانوا في معظمهم من الموالي، ما يظهر أن من المتصديين لهذا الفكر كانوا من الموالي أيضا مما يجعل هذه التّهمة (الشعوبية) تلتصق بمن لم يحسن اسلامهم، ولم يرضوا بالانتماء إلى الدولة العربية والإسلامية.

8. توظيف الشعوبيين للنثر في التعبير عن عدائهم للعرب.
9. –ميلاد أدب جديد لدى العرب يعنى بالرد على الشعوبية.
10. تمثل كتب ابن المقفع مظهر من مظاهر الشعوبية ويظهر ذلك جليا في بعض عناوين كتبه مثل :"كتاب مزدك" و"أنو شروان"... والتي تحمل أسماء فارسية .
11. أظهرت الدراسة أن مضامين كتب ابن المقفع تعبر عن أخلاق وتاريخ ملوك الفرس التي سعى ابن المقفع إلى نشرها غير مكترث لجملة الأخلاق والفضائل التي جاء بها الإسلام، وذلك ما دلّ على شعوبيته وزندقته.

رغم ملامح الشعوبية والزندقة عند ابن المقفع إلاّ أنه لا يمكننا بخس الرجل حقّه في العبقرية والتميّز وإمداد الأدب العربي بمؤلفات خالدة ككتابه كليلة ودمنة المترجم إلى عدة لغات.

و نرجوا في الأخير أن نكون قد وفّقنا ولو قليلا في هذا العمل الذي قد يوسع آفاق البحث في أثر الشعوبية في النثر خصوصا واستكمال إبراز ما لم نتطرق إليه.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أوّلا: المصادر

1. **الأصفهاني(أبو الفرج علي ابن الحسين)**:الأغاني، تحقيق ابراهيم الأبياري، مؤسسة دار الشعب،د،ط،ج3،1969.
2. **التوحيدي(أبو حيان)**:الإمتاع و المؤأنسة، تحقيق أحمد أمين و أحمد الزّين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،ج1،1953.
3. **ابن تيمية(تقي الدين أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية)**:السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، جدّة، ط1، د،ت.
4. **الجاحظ (أبو عثمان عمرو ابن بحر)**:البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط7،2009.
5. البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني،القاهرة،ط.7،1998،ج1.
6. الحيوان: تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، مصر، ط2،1968،ج7.
7. رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة،1965،ج1.
8. **الجهشياري**: أبوعبدالله محمد، الوزراء والكتاب، تحقيق محمد السقا وآخرون ، د،ط، مصر،1938.
9. **جورجي زيدان**: تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،د،ط،ج4.
10. **ابن عبد ربه (أحمد ابن عبد ربه الأندلسي)**: العقد الفريد، شرح ابراهيم الأبياري، دار كتاب العربي،بيروت،لبنان،ج3،د،ط،د،ت.
11. **عمر فروخ**: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين،بيروت،ط1،1968.
12. **ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله ابن مسلم)**:فضل العرب والتنبيه على علومها، تحقيق وليد

محمود خالص، دار الكتب الوطنية، منشورات المجمع الثقافي، أبو ضبي،ط1،1998.

13. **ابن قيم الجوزية:** بدائع الفوائد، المطبعة المنيرية، مصر،د،ط،د،ت.
14. **المسعودي(أبو الحسن بن الحسين بن علي)**:مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الرجاء،القاهرة،د،ط،د،ت،ج2.
15. **ابن المقفع:** الأدب الصغير، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية، ط1،1911.
16. الأدب الكبير، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية،ط1،1912.
17. كليلة ودمنة، تحقيق وتنسيق الشيخ إيناس خليل زكرياء، دارالأندلس،د،ط ،1996.
18. كليلة ودمنة،تحقيق عبد الوهاب عزام،وطه حسين،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة،د،ط،د،ت.
19. **ابن النديم (أبو الفرج محمدابن أبي يعقوب اسحاق)**:الفهرست،شرح وتحقيق يوسف علي طويل،دار المعرفة،بيروت،لبنان،د،ط،د،ت.

ثانيا:المراجع

20. **أحمد أمين**:ضحى الإسلام،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،د،ط،1997،ج1.
21. **أحمد تيمور باشا**:التذكرة التيمورية(معجم الفوائد ونوادر المسائل)،مطابع دار الكتاب العربي،مصر،ط1،1953.
22. **أحمد علي**:ابن المقفع الكاتب والمترجم والمصلح،دار الفارابي،د،ط،2002.
23. **أحمد الزيات**:تاريخ الأدب العربي،دار الثقافة،بيروت،ط29،1985.
24. **بشائر أمير عبد السادة:** الشعوبية والزندقة،كلية التربية للعلوم الإنسانية،جامعة بابل،العراق ، د،ط،2011.
25. **حسن ابراهيم حسن**:تاريخ الإسلام السياسي،دار الجيل،بيروت،ط14،1996،ج2.
26. **دومينيك أورفوا**:المفكرون الأحرار في الإسلام،دار الساقي،بيروت،لبنان،ط1،2008.
27. **ركان الصفدي**:الفن القصصي في النثر العربي،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، د،ط،2011.

28. **الزهيري**:نقائض جرير والفرزدق،مطبعة دار المعرفة، بغداد،العراق،ط1،1954.

29. **شوقي ضيف**:أ-تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الأول،دار المعارف،مصر، ط16،2004.

30. **ب**- الفن ومداهبه في النثر العربي،دار المعارف،القاهرة،ط10، ،دت.

31. **ج** - النقد،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط5،1426هـ

32. **عبد الرحمن بدوي**:من تاريخ الإلحاد في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط2،1980.

33. **عبد العزيز التيموري**:الجذور التاريخية للشعوبية،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،دط،دت.

34. **عبد الله سلوم السّامرّائي**:الشعوبية،حركة مضادة للإسلام والأمة العربية،دار الحرية للطباعة، بغداد،دط،1981.

35. **عبد اللطيف بن علي السلطاني**:المزدكية هي أصل الإشتراكية،مطابع دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،ط1،1974.

36. **عبد اللطيف حمزة**:ابن المقفع،دار الفكر العربي،ط3،دت.

37. **أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي**:الجامع لأحكام القرآن،مطبعة دار الكتاب المصرية،دط،1941، ج11.

38. **عزيز فهمي**:المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول،تحقيق:محمد قنديل،دارالمعارف،مصر،دط،1980.

39. **علي عبد الواحد وافي**:المساواة في الإسلام،دار المعارف،مصر،ط3،1965.

40. **فكتور الفك**:أثار ابن المقفع أديب العقل،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط1،1986.

41. **محمد ابراهيم الفيومي**:الشيعة الشعوبية والإثناعشرية،دار الفكر العربي،القاهرة،ط1،2002.

42. **محمد علي الكيسي**:نشأة الفكر السياسي عند العرب،دار الفكر،دمشق،ط2،2007.

43. **محمدكرد علي**:الإسلام والحضارة العربية،مطبعة دار الكتب الربية،القاهرة،دط،1934.

44. **محمود شكري الألوسي**:بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،تحقيق:محمد بهجت

الأثري،مطابع دار الكتاب العربي،مصر،دت،ج1.

45. **ابن المقفع**:آثار ابن المقفع،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1989.

46. **موسى سليمان**:الأدب القصصي عند العرب،دط،1969.

47. **نعمة رحيم العزاوي**:مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه،مطبعة اشبيلية الحديثة،بغداد،العراق،دط،1982.

48. **هاشم يحي الملاح**:الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل،دار الكتب العلمية،بيروت، دط،1971.

49. **هوميروس**:الإليادة،ترجمة أمين سلامة،دار الفكر العربي،ط2،1981.

50. **وِل وايرايْل ديورانت**:قصة الحضارة،عصر الإيمان،ترجمة محمد بدران،دار الجيل للنشروالتوزيع، بيروت،ج2،مجلد4.

ثالثا:المعاجم والقواميس.

51. **أحمد حسن الزيات، ابراهيم مصطفى،حامد عبد القادر،محمدعلي النجار**: المعجم الوسيط،مطبعة مصر،1960،ج1.

52. **أبو عبد الرحمن الخليل ابن أحمد الفراهيدي**:كتاب العين،تحقيق:مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال،ج1.

53. **الفيروز أبادي**:القاموس المحيط،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،1995،ج1.

54. **ابن منظور**:لسان العرب،تحقيق:عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي،دار المعارف،بيروت ،لبنان،ج4.

55. **ياقوت الحموي**:معجم الأدباء،مطبوعات دار المأمون،دط،دت،ج16.

رابعا:روابط المواقع الإلكترونية.

56. https://www.youtube.com/watch?v=DBIBOJ7/B8.
57. https: //www.maghress.com/pnnpress/636.
58. https://wwww.toufoula-mourahaka.blogspot.com

الفهـــــــرس

فهـــرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

إهداء

تشكرات

مقدمة.....(أ-ب-ج-د)

مدخل.....06

أولا:الدولة في عصر صدر الإسلام.....06

ثانيا:الدولة في عهد الخلفاء الراشدين.....07

ثالثا:الدولة في العصر الأموي والعباسي.....08

الفصل الأول:الشعوبية:النشأة والتطور

المبحث الأول:مفهوم الشعوبية.....12

أ)الشعوبية لغة:.....12

ب)الشعوبية اصطلاحا.....13

المبحث الثاني:أسباب انتشار الفكر الشعوبي وأهدافه.....16

أولا:اسباب انتشار الفكر الشعوبي.....16

أ)تعصب العرب.....16

ب)حقد الأعاجم.....18

ثانيا:أهداف الفكر الشعوبي.....21

ثالثا:حركات الموالي.....21

أ)الحركة الراوندية.....22

ب)الحركة المقنعية.....22.

ج)الحركة الخرمية.....22
د)حركة الزندقة.....23
المبحث الثالث:أثر الشعوبية في النثر العباسي.....25
1- ملامح الشعوبية في آداب الأمم القديمة.....25
2- الشعوبية السياسية ودورها في إذكاء الفكر الشعوبي.....26.
أولا:أبرز من ألّف في النثرالشعوبي.....28
أ)أبو عبيدة معمر بن المثنى.....28
ب)سهل بن هارون.....30
ج)الهيثم بن عدي.....30
ثانيا:أدباء تصدوا للشعوبية.....32
أ)الجاحظ.....32
ب)ابن قتيبة.....33
ج)الأصمعي.....34
النص النثري الشعوبي.....36
النص النثري والرد على الشعوبية.....39

الفصل الثاني:الشعوبية عند ابن المقفع

المبحث الأول:تعريف ابن المقفع.....46
1)مولده ونشأته.....46
2)مقتله.....47
3)أثاره.....49

الفهرس

المبحث الثاني:مضمون أهم مدوناته

1)كليلة ودمنة.....50

2)الأدب الكبير.....54

3)الأدب الصغير.....61

4)رسالة الصحابة.....65

المبحث الثالث:أثر الشعوبية في بعض مدونات ابن المقفع

الشعوبية عند ابن المقفع.....69

1)أثر الشعوبية في كتاب كليلة ودمنة.....72

2) أثر الشعوبية في رسالة الصحابة.....75

3) أثر الشعوبية في كتاب الأدب الكبير.....78

4) أثر الشعوبية في كتاب مزدك.....81

5) أثر الشعوبية في كتاب التاج..... 83

خاتمة.....88

قائمة المصادر و المراجع.....91

فهرس الموضوعات.....97